عمر أبو ريشة

الأعمال الكاملة

(الجزء الثاني)

المسرحيات

عمر أبو ريشـة

الأعمال الكاملة

(الجزء الثاني)

المســرحيـات

تحقيق: فــايــز الــدايـــة
سعد الدين كليب
مـحمّــد قـجّــــة

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة - دمشق 2017م

الأعمال الكاملة : المسرحيات / عمر أبو ريشة ؛ تحقيق فايز الداية، سعد الدين كليب، محمد قجة .- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2017م .- ج2 (192 ص)؛ 25سم.

1- 810.8 ر ي ش أ   2- 812.9561009 ر ي ش أ

3- العنوان 4- أبو ريشة 5- الداية 6- كليب 7 - قجة

مكتبة الأسد

أعمال «عمر أبو ريشة»
المسرحيّة

1- مسرحيّة «ذي قار»

2- مسرحيّة «طوفان»

3- مسرحيّة «عذاب»

4- مسرحيّة «محكمة الشعراء»

5- مسرحيّة «سميراميس»

6- مسرحيّة «نحن والسلطان»

- **نذكر قبل أن نقرأ ما كتبه أبو ريشة في هذه المسرحيّة أنّه جاء في كتب التاريخ: أنّ كسرى أبرويز طلب نساء، فأقنعه رجل من حاشيته هو «زيد بن عديّ» -الذي كان يضمر العداوة لملك الحيرة- أنّ ثمة ما يناسب طلبه في بيت النعمان بن المنذر وأقاربه في الحيرة، لكنّ النعمان يأنف من مصاهرة الفرس، فيوقع أبرويز بعد أمد بالنعمان فيقتله، ثمّ يطلب من قبيصة بن هانئ أن يسلّمه ما أودعه النعمان لديه من متاع وسلاح فيأبى، وعندها تأتي جند كسرى وبعض أتباعه، وتقوم حرب حملت اسم: «وقعة ذي قار» انتصر فيها العرب، وقد استمرّت مدّة، وجرت فيها عدّة معارك اختتمت قرب ماء لبني بكر هو «ذو قار» بين ما سيكون الكوفة وواسط. ويرجّح أنّ تلك الحرب وقعت في سنة بين 604 و 610 م.**
- **لم يذكر عمر أبو ريشة مصادره التي استقى منها أصول الأحداث وأسماء الشخصيّات التاريخيّة، ونحن نجدها في**

عدد من المصادر العربيّة: تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، وكتاب المعارف لابن قتيبة وكتاب مروج الذهب للمسعودي، وكتاب المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، وكتاب الكامل لابن الأثير، وقد ذكرها وقابل بينها د. جواد علي في مؤلَّفه «تاريخ العرب قبل الإسلام» ج 3 ص 293 - 301 .

- **طبعت هذه المسرحيّة في كتاب مستقلّ مرّة واحدة، ونستنتج من تعليق «حمدي كامل» في نهاية النصّ أنها أُلِّفت قبيل 1929 مع نهاية دراسة الشاعر ببيروت، أو تمّت على الأقلّ صياغتها الأولى، وثمة أخبار عن تمثيلها بحلب وعرضها بحمص 1933، ولم يعاود الشاعر النظر فيها ولم يطبعها ثانية .**
- **ذكر د. سامي الدهّان في كتابه: «الشعر في الإقليم السوري / 243» أنّ حبيب العبيدي الذي أهدى إليه أبو ريشة مسرحيّة «ذي قار» هو مفتي الموصل الذي كانت له مواقفه وألّف كتاباً عن «جناية الإنكليز على البشر والمسلمين» .**

مسرحيّة «ذي قار »
«عمر أبو ريشة»

يا فؤادي ألا تزال كئيباً شاكياً باكياً على غير جدوى

لا تكن ظالماً فإنّك إن مّت* تركتَ الآلامَ من غير مأوى

«عمر أبو ريشة»

الإهداء

إلى رجل العراق الأستاذ حبيب العبيدي

أهدي لروض بيانــكَ الفيّاح برعمَ زهرةِ

فارسل على صغر الهديّة منكَ أعطفَ نظرةِ

ما كلّف الرحمنُ نفسـاً فوق وسْعِ القدرةِ

عمر أبو ريشة

ذي قـار

الشخصيّات[١]:

كسرى أنو شروان ملك العجم

الطُميح قائد كسرى

دِعْبِل نديم كسرى

جسّاس شاعر كسرى [٢]

حسّان شاعر كسرى

أخيل وزير كسرى [٣]

يوسف وزير كسرى

حاشية

الحارث مطرب كسرى

وداد راقصة في إيوان كسرى

النُّعمان ملك الحيرة

عصام ابن الطُميح حاجب عند النعمان

---

(١) في الأصل : الممثلون .

(٢) في الأصل : شعراء كسرى .

(٣) في الأصل : وزراء كسرى .

النَّابغة الذّبياني   شاعر النعمان [٤]

قيس   شاعر النعمان

الحَرْقاء   ابنة النعمان

ابن هاني

مسعود

ابن حداجة

المنذر بن الرّيان

---

(٤) في الأصل : شعراء النعمان .

الفصل الأول
المنظر الأول

الغدير

يظهر على المسرح جماعة من العرب يرقصون ما يسمونه «الدبكة» والنّشيد على نغم «يا غزيّل يابو العِبى»

أحدهم :

كلّما الصّبُّ المُعَنَّى	أبصر المحبوبَ أنّا
وإذا ما الليلُ جنّا	أترع الكأسَ وغنَّى

الجميع : كلّما الصّبُّ المعنَّى ....

الأوّل :

إنّما الكأسُ دواؤه	وله فيها عزاؤه
كلّما اشتدّ بكاؤه	أفرغ الكأس وغنَّى

الجميع : كلَّما الصّبُّ المعنَّى ...

الأول :

وإذا ما الفجرُ لاحَ	وهزارُ الأيك ناحَ
دون أن يلقَى رداحا	حطّم الكأسَ وغنّى

الجميع : كلَّما الصّبُّ المعنَّى ...

أحدهم : اجلسوا يا صحبُ

آخر : كلاّ

آخر : رقصةٌ

آخر : رقصةٌ أخرى

آخر : نَعَم أخْرى نريدْ

آخر :

هل نسيتم أن عمراً بيننا

اجلسوا ينشدكمُ خيرَ النشيدْ

آخر : هيّا يا عمرو

عمرو : اجلسوا

الجميع : هيّا اجلسوا

عمرو : إنّ أيّام الصفا ليستْ تعودْ

(عمرو ينشد)

هاكِ يا ورْقُ قصيدي وانشديه . إنّ فيهْ

نغماتٍ وقّعتْها الزفراتْ

عصفَتْ فيها أكفُّ الحسراتْ

فاستحالت نغماتي لأنينِ . واحنيني

حطّمتْ يا ورقُ أوتاري الهمومْ . والكلومْ

فتلاشتْ بين طيّات الأثيرْ

لم يَعُدْ منها سوى النَّزْرِ اليسيرْ

أنشديني آه يا ورقُ انْشديني . أنشديني

أحدهم : آهِ

آخر : قد أسكرتنا

آخر : أنشدْ

آخر : أعِدْ

عمرو : مثلَ ما شئتمْ

آخر : تكرّمْ غنّنا

عمرو : هاكِ يا ورقُ

أحدهم : انظروا. مَنْ قادمٌ

آخر : إنّه المنذر

آخر : ها هوْ قد دنا

عمرو : فلنَسِرْ في طلب الأنس على

أربُع خضر بها كل المنى

حيث نجني من ثمار اللّهو

والصفو أحلاها وأشهاها جنى

(يذهبون ويتأخّر عمرو قليلاً)

(يدخل المنذر)

المنذر : رويدكَ يا عمرو لا تذهبنَّ

فلستُ على الصّفو بالمفسدِ

فإنْ تكُ روحي كعابَ الطّموحِ

فنفسى فتاةُ الصّفا والدَّدِ

وهذا الشّبابُ بهيُّ الرّداء

كغصنٍ سقاه النّدى أملدِ

إذا لم أبلَّ له غُلّةً

قتلتُ شبابيَ شُلَّتْ يدي !

وعنقُ الشّباب وسيفُ المشيبِ

كقلبِ المساءِ ونُبلِ الغَدِ

فنادِ الرّفاقَ فما بيننا

حجابُ الموالي لدى السيّدِ

عمرو منادياً: رفاقي! رفاقي!

الرفاق : ألا ما تريدُ

عمرو : أميرُ البلاد هنا ينتظرْ

الجميع : أميرَ البلادِ عليكَ السلامُ

(يدخلون)

المنذر : عليكم سلامُ السّماء العَطِرْ

أعيدوا بساطَ الرّحيق العتيقَ

وفُضُّوا الفِدام وهزّوا الوَتَرْ

ويا عمرو رجّعْ صدى السّاجعاتِ

وهاتِ القصيدَ بديعَ الصُّوَرْ

يميل بيَ اللّحنُ ميلَ الزهورِ

وقد قَبّلتها شفاهُ السَّحَرْ

فَنفِّس بربِّكَ عنّي الهمومَ

عمرو : أمرتَ ومثلـيَ مَنْ يؤتَمَرْ

(عمرو ينشد)

خففّي الوْطءَ يا همومُ فإنّي

ما وطئتُ العشرينَ إلاّ قريباً

أنتِ أضنيتِني بميعةِ عُمري

أنتِ عَلّمتِني البُكا والتّحيبا

اصبني كاسَكِ الدّهاقَ وأبقي

بفؤادي من راحتيكِ دبيبا

لا تُميتيه في هواه غريباً

يا (لليلى) إنْ قيل ماتَ غريباً

والعذابُ العذابُ موتُ محبٍّ

لم يجدْ حوله الحبيبَ الحبيبا

(المنذر يتكئ بألمٍ)

أحدهم : ما للأمير قد اتكا وغفا

آخر : تُرى ما بالُهُ

آخر : تَعِبَ الفؤادِ إخالهُ

آخر : إنّي كذاكَ إخالهُ

آخر : أو ما لمستَ الحزنَ فيهِ

آخر : وكيف حالت حالُهُ

آخر : إنّي أظنّ فؤادَهُ في الحبِّ بانَ عقالُهُ

عمرو :

لا تُغرقوا في الظّنّ	فيه حرامُهُ وحلالُهُ
لم يَدْرِ ما بأميرنا	إلاَّهُ جلَّ جلالُهُ

آخر : لا تُقلقوا أميرَنا في رقدتِهْ

بل اتركوه نائماً في وحدتِهْ

المنذر : يا غراماً بين أحشائي نما

(يفتح عينيه كمن يفيق من حلم)

ورماني في بحور التَعَسِ

أترى تهجر قلباً مُكْلَما

يتلظَّى في سعيرِ النَّفَسِ

ويحَ قلبي من تباريحِ الهوى

يا ابنةَ النّعمان إنْ طال الصّدودْ

ما له في الحبِّ من ذنبٍ سوى

أنَّه جاوزَ في الحبِّ الحدودْ

قد رماهُ الدّهرُ في حَرِّ الجوى

رميةَ الدّينار في كفِّ اليهودْ

يسهر اللّيلَ يناجي الأَنجما

ويُقيد الشّعرَ طيَّ الغَلَسِ

فيرى طيفَك يا ظبيَ الحِمَى

يتلالا قبساً في قبسِ

يا ابنةَ النُّعمان هذي كَبدي

من جراحاتِ الهوى كادت تسيلْ

مَنْ مجيري في الهوى مَنْ مُسعدي

وطبيبي باعثُ الدّاءِ الدخيلْ

خَفّفي حَرقاءُ عنّي أنجدي

قبل أن تأذن شمسي بالرّحيلْ

وانظري سيلَ دموعي عَنْ دِما

ما له في السّيل من منحَبَسِ

واذكري بالله يوماً في السّما

نلتقي فيه بروحِ القُدُسِ

(يتّخذ زاوية من المسرح وينشد)

المنذر : أيُّها الموتُ اقتربْ واشفقْ عليّ . يا أُخَيّ

وانبتي يا أرضُ مِنْ بعد مماتي

كلَّ نبتٍ عاطرٍ فوقَ رُفاتي

علَّه يقتاد مَنْ كنت أودّ– فاستبد

فإذا مدَّتْ إليه راحتينِ . بضّتينِ

وجَنَتْ ما راقها من زَهَراتِ

وغدتْ تنشِق مسك النفحاتِ

عادت الروحُ وصاحتْ بالرفاةِ . للحياةِ

(تدخل مريم وهند وعلى رأسيهما جَرّتان فتنزلان الجرّتين وتتحادثان)

مريم : هندُ ما هذا الذي أسمعه أنشيدٌ أم أنينٌ أم بكاءْ

ومَنِ الجاثي هناكَ ؟

هند : استمعي إنّه يبكي كما تبكي النّساءْ

إنّه المنذرُ

مريم : ماذا شأنه

هند : مُغْرَمٌ أعياه في الحبِّ الدّواءْ

يَعشق الحرقاءَ

مريم : مَنْ أنباك يا هندُ ؟

هند : هل تخفى عن العين السماءْ

إنّه يُنشدها في شِعره

ويَرى في ذكرها بعضَ العزاء

مريم : أصدقيني القول يا هندُ أَلم

يرتقص قلبُكِ في حاء وباءْ ؟

هند : مَنْ أيا مريمُ في الدنيا له

مهجةٌ من جوهرِ الحبِّ بَراءْ

مريم : أنت يا هندُ على حبٍّ إذن ؟

هند : آهِ يا مريمُ قد بان الخفاءْ

ربَّ ليلٍ باتَ يَشكوني الهوى

ودموعُ العين تهمي في سخاءْ

يمسح الدّمعَ بكفّيه وما

دمعُهُ إلاّ سروراً باللّقاءْ

كم غفا فوق ذراعي حالماً

في أماني الحبّ في مُلْكِ السماءْ

لم يقم إلاّ وجلبابُ الدّجَى

رَقَّ حتى كاد يمحوه الضّياءْ

آه يا مريمُ ما أحلاه من

زمنٍ قد كان يَنْبوعَ الهناءْ

فانقضى يا ليته لمّا انقضى

سارَ بي يحدو إلى دارِ الفناءْ

مريم : لِمَ هذا القولُ يا هندُ

هند : ألا لا تُثيري ذكرياتِ البؤساءْ

إنَّ مَنْ أهواه . ويلي بعده .

طعنتْ أحشاه أسيافُ القضاءْ

فَخَلتْ عشرُ سنينٍ وأنا

لم أزل أرعى ودادي والوفاءْ

كلّما حاولتُ أسلوه أبتْ عِصمتي

مريم : فليكُ في الحبِّ الإباءْ

اسمعي يا هندُ قد عاد إلى

شِعرِهِ يُنشد ألحان الشّقاءْ

المنذر :

الحبّ أضنانــي	والقــلبُ عاداني
والـبؤس وافاني	ما كـان أغنــاني
يا وطـأةَ الحبِّ	لا تؤلمــي قـلبي
لا تـتركي لبـي	يبــكي بتحـــنان
حرقاء لا تدري	ما ضمَّه صدري
أقضي وما أمري	يُفْشَــى لإنســـانِ
يا قلبُ لا تضجَر	يا دهــرُ لا تَنْهرْ
يا ظبيُ لا تقهَرْ	وارفِـقْ بأشــجاني

مريم : إنه يبكي وذا صوتُ بُكاهْ . وأساهْ

فإذا لم تجنح الحَرقا إليهْ

ماتَ فيها

هند : رحمةُ الله عليه

إنّ مَنْ ماتَ على الحبِّ الأكيدْ . لسعيدْ

مريم : هندُ. هذي فلسفاتُ العاشقين

هند : تَصْدقين

كم حسبتُ الموتَ برءاً لسَقَامي

كلّما جاش بأضلاعي غرامي

أنا لولا العارُ بَدّلتُ الحياةْ . بالمماتْ

مريم : أنت تهذين فلا ننسى إذن . أنّ مَنْ

يتلوّى من جوىً طيّ الفؤادْ

هو مَنْ تعشقهُ هذي البلادْ

وترى خيراً به يوم الحروبْ . والخطوبْ

فأنا أخشى مصيرَ المنذرِ

هند : أخبري

ابنةَ النُّعمانِ بالأمرِ الجَلَلْ

فعسى تُفرجُ عنه ولعلّ

إنّما ذلك صعبُ المركبِ

هند : اذهبي

مريم : فالنِّسا يُدلِلْنَ إنْ قيل لهنْ . إنّهنْ

قد ملَكنَ اللُّبَّ والقلبَ الخلي

هند : ذاك يا مريمُ عينُ الخَطَلِ

أنت لا تدرين أحوال النِّساءْ . بالجلاءْ

هنّ قد يُظهرنَ بعضَ الكبرياءْ . والجفاءْ

إنّما يُخفين قلباً مغرما

تمتمَ الحبُّ به ما تمتما

فاذهبي مريمُ قد آن الأوانْ . بالأمانْ

(تفترقان)

المنظر الثاني

(يرفع السّتار الثاني عن قصر النعمان. الخادمان عبد ومسعود. عبد خادم أسود اللّون) .

مسعود : عبدُ. يا بَدْرَ الدّجى

عبد : اخرس فقد كاد صبري ينقضي فاعتدلِ

فإذا ما عدتَ تهذي

(مسعود مقاطعاً الحديث)

قلتُ مِنْ

فرط خوفي قومي يا ليلى انحلي

عبد : هاكها (يلحق به ويضربه بحذائه)

مسعود : يا عبدُ مهلاً إنّني

مازحٌ فاهدأْ ولا تستعجلِ

عبد : أنا لا أرضى مزاحاً مثلَ ذا

فتجنَّبه وإلاّ نقتتلِ

مسعود لنفسه: إن العبيدَ لعمري

سريعةُ الانفعالِ

لولا تداركُ قولي

قضيتُ تحتَ النِّعالِ

يا عبدُ أنكرتَ ودّي

وما حَفظتَ ولاءكْ

فما مزاحيَ إلاّ

لكي أزيلَ عَناءكْ

عبد : مسعودُ لا تُطل الكلامْ

قبحاً لوجهك من غلامْ

مسعود منفرداً: قد ضاق صدري . وغيرُ خمري .

لا يُخمد الأوصابْ (يخرج زجاجة خمر)

وآن سُكْري . فليتَ دهري .

يُعيدُ لي الأحبابْ

عبد مخاطباً نفسه يا عبدُ هذي رائحاتُ الخمرِ

فاحت كالعبيرِ

مسعود يا دنياي يا

عينيّ يا قلبي الكسيرِ

مسعود : يا عبدُ لم تنشد ولائي

قبلَ كاسات الخمورِ

اجلسْ سأنسى ما بدا

منكَ أيا بدرَ البدورِ

(قرع على الباب)

عبد : مَن على البابِ ؟

مسعود : فتاةٌ

عبد : ما عسى ترجو الفتاةْ

مسعود : إنّها مريم (يدنو من عبد ويهمس بأذنه)

هذي غادةٌ تحكي المَهاةْ

فإذا مسّتْ بكفٍّ

مَيّتاً شامَ الحياةْ

عبد : إنّني يا صاحِ مَيْتٌ

فلتَذُدْ عنّي الوفاةْ

(يتمدّد على الأرض)

مسعود : قُمْ أَيا جاهلُ

عبد : دعني

مسعود : ويكَ ما هذي الصّفاتْ

(عبد مغنّياً):

إنّ لي يا بنتُ قلباً — في اضطرابٍ والتهابِ

فأَديري منكِ يا مر — يمُ معسولَ الرُّضابِ

مسعود : عبدُ

عبد : اُتركني وشأني

قُم أيا وجْهَ الغرابْ **(تدخل الحرقاء ووصيفاتها)**

مسعود : مولاةِ

الحرقاء : ماذا؟ تكلّمْ

مسعود : في رُدهةِ القصر مريمْ

الحرقاء : ماذا تريدُ

مسعود : فهذا في حلّهِ الله أعلمْ

الحرقاء :

اِذهبْ إليها سريعاً وقُلْ لها تَـتقدّمْ

(عبدُ متلجلجاً): مولاةِ

الحرقاء : هيّا تكلّمْ

عبد : في ردهة القصر مريمْ

الحرقاء : خذوه ... فيه خَبالٌ وما لذلك بلسمْ

(تدخل مريم)

مريم : سلامُ الله يا ذاتَ المعالي

الحرقاء : سلاماً يا ابنةَ العُرْبِ الكرامِ

الحرقاء : عسى خيراً وراءكِ أخبريني

مريم : أماناً

الحرقاء : أنتِ عندي في أمانِ

(إلى الحاضرين) اذهبوا السّاعة عني

أمرُك العالي مطاعْ (الجميع يخرجون)

مريم :

حرقاءُ ... في كنَفِ الغدير

صبٌّ بمضطرم السّعيرِ

صبٌّ بريعانِ الشّبابِ

ورَونق الحسنِ النّضيرِ

قَرْمٌ له الباعُ الطويلُ

ورفعةُ البيتِ الخطيرِ

بين الذّوابلِ والقنا

والطَّعنِ كالّليث الهصور

يَذَرُ الخميسَ مبدَّداً

فَيفي مؤوناتِ النّسورِ

ويقود أُسْداً لم تَرِدْ

حوضَ التقهقرِ والعثورِ

ما كان يحسَب أنَّه

يقتاده ظبيُ القصورِ

ملكَ الأغنُّ عِنانَه

يَسري به وعرَ المسيرِ

بلواحظٍ ألقتْه في

لُجَجِ الهوى دامي النّحور

ورمته بَين جنادلٍ

تَذَر النُهوضَ من العَسيرِ

يشكو ويندبُ قلبَه

والدمعُ كالسّيل الغزيرِ

والحبُّ أقتلُه إذا

كان المحبُّ بلا نصيرِ

يلقي على (ناي) الهوى

لحنَ العواطفِ والشُّعور

فكأنّها كادتْ تصوَّر

أو تميل إلى الظّهورِ

وسمعتُ ذكرَكِ في قصائدَ

كالقلائد في النّحورِ

الحرقاء : يَشدو بذكري؟

مريم : إي وربِّكِ ما حملتُ حديثَ زُورِ

الحرقاء : مَنْ يا ترى المغرورُ؟

مريم : عفوكِ فالهوى غيرُ الغُرورِ

مريم : فالحبُّ يقتنصُ الخطيرَ

ولا يعفُّ عن الحقيرِ

ملكٌ على أبوابِهِ وقفات ملكٍ أو أميرِ

ملكٌ لكَمْ جَدَع الأنوفَ الشمَّ أشباه الصقورِ

ملكٌ ولكنْ عرشُهُ ما بين طيّاتِ الصُّدورِ

يَنْهي ويأمرُ والأنامُ بكفِّهِ كُرةُ الصغيرِ

ألقى على قفرِ الحياةِ وشاحَ جبّارٍ قديرِ

فإذا به روضٌ ذكيُّ النبتِ فيّاحُ العبيرِ

وأسَيرُ حبِّكِ

الحرقاء : (مقاطعة) أخبري ما تعلمينَ عن الأسيرِ؟

مريم : فهو ابنُ عمِّك

الحرقاء : اِبن عمي؟ المنذرُ السّامي العشيرِ

ولِمَ تمنّع أن يَبثَّ غرامَهُ

مريم : خوفَ النُّفورِ

فتبصّري بالأمر يا حرقاءُ مِن هولِ المصيرِ

الحرقاء : حسناً فعلتِ فإنّنا سنسير في طَلَب الغديرِ

هيّا بنا

مريم : سمعاً وطوعاً ربَّةِ المجد الكبيرِ

(يسدل الستار الثاني)

المنظر الثالث

(يظهر المنذر. والحرقاء ومريم مختبئتان. على الغدير)

المنذر : أهنتِ شبابي ولم ترحمي

فبالله رقّي ولا تَظْلمي

ويا قلبُ مهلاً ولا تعصِفَنْ

ولا تنضحنَّ زكيَّ الدّمِ

فما هِيَ أوّلُ خَوْدٍ رَمتْ

ولا أنت أوّلُ قلبٍ رُمي

وَرَكْبُ العُبابِ لشطِّ النعيمِ

جسيمُ المخاطِر للمُقْدِمِ

(تظهر الحرقاء)

الحرقاء : أناتَكَ منذرُ !

المنذر : من ذا أرى؟ ترى أنا أهذي؟ أنا أحلمُ

أطيفاً أشاهدُ ؟

الحرقاء : بل مَنْ تُحبّ ومَنْ كنتَ عنها الهوى تَكْتُمُ

المنذر:

أهلاً براحةِ رُوحي

أهلاً بِمَلْكـةِ قلبي

أفدي بروحي يوماً

أرى الحبيبةَ قربي

حَرقاءُ كَمْ ذُقْتُ العذابَ

وكم تجرّعتُ السَّقامْ

كم بِتُّ مجروحَ الفؤادِ

أكفكفُ الدّمعَ السَّجامْ

تشتاقُ عيناي المنامِ

لعلَّ طيفَكِ في المنامْ

(يطرق في تفكير)

الحرقاء : يا مقلةَ الحرقاءِ هذا .

بعضُ أفعال الغرامْ

مريم : إنَّ الهوى أنساهما

مريم لمّا التقيا

تكلّما تَغازلا

تَعاتبا تَشاكَيا

(تتركهما وتذهب)

الحرقاء : عَلامَ أراكَ تطيل الفِكَرْ

أجبني فأنت صريحُ الخَبَرْ

المنذر : أفكِّر في الغُصْنِ كم يَنْثني

يُقبّلُ ثغرَ أخيهِ النَضِرْ

وفي الوردِ رفَّ على خدِّهِ

رَذاذُ السّحاب وطلُّ السَّحَرْ

وفي النّهر هامَ على وجهه

يعانق شوقاً مياهَ البَحَرْ

وفي الأفق يبدو عشيقين في

عناق يدوم دوام القَدَرْ

فكلٌّ من الكونِ صبٌّ يقبِّلُ

ثغرَ الحبيب ويجني الثَمَرْ

فلا أرى معنى لقبلاتها

إذا لم اقبِّلْ جناكِ العَطِرْ

هاكِها عربونَ حبّي ووفائي وولائي (يقبّلها)

[الستار]

الفصل الثاني

قاعة مزدانة بالصور والمفروشات الثمينة تتجلّى فيها عظمة كسرى. [من] الشعراء: حسَّان وجسّاس. [من] الوزراء: أخيل ويوسف. الندماء: دعبل، الغرباء: عصام وعناد. حاشية،المنشدون.

كسرى : حَسَّانُ

حسّان : مولاي

كسرى :

إنّي أرى بنفسي غَمّا

عِبءُ البلاد ثقيلٌ وحملُه كان حَتما

فانشدْ قريضَكَ عَلّي أروِّحُ النّفس ممّا

أحد الجالسين: فَداكَ كلُّ عزيزٍ

آخر : لا ذقتَ في العيش سُقْما

حسّان :

قَسْورَ الملكِ لا يَرُعكَ زمانٌ

يتلوَّى كأنّه الرّقطاءُ

حَضنتْ ملكَكَ السماءُ وقامتْ

في ذراهُ العدالةُ الشمّاءُ

معولُ الدّهرِ لا يميلُ بِمُلْكٍ

أنتَ فيه الهدّامُ والبنّاءُ

وبناءٌ دعامُه العلمُ والحِلْمُ

بناءٌ دَمارُه العنقاءُ

كسرى :

لعمْرُكَ ما خفتُ سهمَ الزّمانِ

فسهمُ الزّمانِ خيالٌ صراحْ

ولكنّما خِفْتُ غدرَ الوَليّ

وقد خَفضَ الذّلَّ منه الجناحْ

وما موردُ النَّدِّ غيرُ الفناءِ

إذا الكفُّ خانت أو السّيفُ طاحْ

حسّان : أيرتابُ مولاي فيمن ينصِّبُ

فوقَ السّهولِ وفوقَ البطاحْ ؟

وفيمن يقرّبُ ؟

كسرى : لا لا فَتلكَ وَساوسُ ثارتْ مثارَ الرّياحْ

فعهدي بكلّ فتىً لاذَ بي

هِزَبرُ المعامع كَبْشُ النِّطاحْ

ولكنَّ مُلْكاً كملكي الكبيرِ

يريني الصّديقَ عَدوّاً وقاحْ

وللمُلْك شَكمٌ كشَكمِ الخيولِ

وهيهاتَ تُكْبَحُ بعد الجِماحْ

دعبل : كذاكَ المِلاحُ إذا ما قَلَتْ

فهيهاتَ ترضى علينا المِلاحْ

(كسرى ضاحكا): لَعَمْرِيَ دعبلُ أُنسُ المجالسِ .

حلو الحديث لطيفُ النّكاتْ

وَصَلناكَ دعبلُ هذا النّهارَ بألف ....

دعبل مقاطعاً : ذلولٍ من السّائماتْ

كسرى : وذاكَ إليكَ

دعبل : وذي نِعْمةٌ تُطوّق جيديَ حتّى المماتْ

كسرى : وأنت يا جَسّاسُ

حسّان : إليَّ لا يقاسُ

(جسّاس غاضباً): أغوتكَ نفسُكَ والغَوايةُ إنْ سطتْ

ذهَبَتْ بأخلاق الفتى وكيانِهِ

لا عتَب أن جرّت عليك يراعتي

وملاكُ شِعري قام في شيطانِهِ

فالشّعرُ طَوعي ما غمزتُ عصَّيه

إلاّ جرى كالماء في جريانِهِ

ما البابليّة مع تقادم عهدها

أشهى وأذكى من عتيق دنانِهِ

فكأنّه هاروتُ في إيقاعه

وجلالهِ كسرى على إيوانهِ !

كسرى : أحسنت يا أخا العربْ

جسّاس : ما قلتُ إلاّ ما وَجَبْ

كسرى : فاجزل له أخيلُ للإبداع عقداً من ذَهَبْ

أخيل : سمعاً وطوعاً يا سليلَ المجدِ

جسّاس : شكراً ما نَضَبْ

(يدخل أحد الخدم)

الخادم : جوقةُ العزّاف في الباب فماذا تأمرونْ ؟

كسرى : أدخل الجوقةَ يا ميمونُ وادعُ المنشدينْ

(يحني رأسه ويخرج)

كسرى :

غنِّ يا حارثُ غن شَنِّف الأسماع منّي

الحارث :

أمرُ مولاي مُطاعٌ وله كلُّ التَّمنّي

(تدخل جوقة العزّاف وتبدأ تعزف)

(الحارث ينشد)

الحبُّ للأرواحْ راحُ يغذّيها

لكنّه فضّاحْ يفشي خوافيها

فُلْكٌ مِن المَرجانْ سرنا به والكاسْ

شراعُه الأجفانْ وريحُه الأنفاسْ

جُزنا به الأبحار　　　والموجُ في إرغاءْ

لكنّما الأبرارْ　　　لم تَبتللْ بالماءْ

وفي شطوط الأنسْ　　　ألقَى بمرساهُ

هناك حيثُ النّفسْ　　　تخلو بمرآهُ

هناك لم تُسْمَعْ　　　ضوضاءُ هذي الناسْ

فالحبُّ قد شَعشعْ　　　وطهّرَ الأرجاسْ

(الجميع) : مرحَى مرحَى

دعبل : مرحَى مرحَى

هاتِ الخمرا هاتِ القدحا

كسرى :

ما أطربَ الأنغامْ　　　ما أعذبَ الألحانْ

تمشي إلى الأجسامْ　　　كالرُّوحِ في الأبدانْ

طبيب كسرى: مولاي هل تسمح لي بقول شعرٍ غَزلِ

نظمتُه في أكحلٍ　　　له اعتدالُ الأسَلِ

يبدو بخدٍّ خَجلٍ　　　حلوٍ ذكيِّ القُبَلِ

له مجونُ دعبلِ

(دعبل حانقاً): إنّي لأعجبُ من طبيبٍ

يدّعي فَهمَ العروضْ

يا مَن يُقضّي العمر ما

بين جروحٍ ورضوضْ

ويبيت يحلمُ في المريضِ

وفي مداواةِ المريضْ

من أين يُحسنُ ذوقُكَ الشّعريّ

في سَبك القريضْ.. ؟

الطبيب :

قد نالَ يا مولاي منّي   قولُ هذا الفاجرِ

كسرى :

أهنتَه بالابتدا   ولم تَفُزْ بالآخرِ

دعبل :

لم ألقَ أحمقَ شاعرٍ   من الطّبيبِ الشّاعرِ !

أهنتَني أَلم تَهَبْ   يا شاعرَ المقابرِ

كسرى :

اتركا هذا الجدالْ   كاد يُفضي بقتالْ

(مخاطباً الحارث) غنِّ يا حارثُ غنِّ

الحارث : لكمو كلَّ التمنّي

الحارث : **(يخاطب وداد)** هيّا يا ودادُ قد بدا التّلحينْ

(تبدأ الجوقة بالعزف)

إنني أغنّي أنتِ ترقصينْ

(الحارث ينشد ووداد ترقص)

الديكُ صاحْ والفجرُ لاحْ

واتَتْ رداحْ بكؤوس راحْ

تسقي العليلْ

عيشٌ جميلْ

يتغنّيانِ من السّرورِ

يتقلّبانِ على الزّهورِ

يتساقيانِ من الثّغورِ

والعشبُ من نفحِ الصباحْ

ثَمِلٌ يميلْ

عيشٌ جميلْ

لم يألفا غيرَ الجِنانِ

لم يرشُفا غيرَ الدِّنانِ

لم يَعرفا صرفَ الزَّمانِ

بسَطَ الهنا لهما الجناحْ

ظلٌّ ظليلْ

عيشٌ جميلْ

(تحني الراقصة رأسها وتجلس ويدخل خادم)

كسرى : ماذا ورا ميمونَ ؟

ميمون : كلُّ الخير يا ربَّ الجلالِ

بشراكَ يا مولاي قد عاد الطُمَيحُ من القتالِ

تركَ الأعادي خَلْفهُ تحتَ الجنادلِ والرّمالِ

ويقود غِيداً إثرَهُ يَفتُنَّ يوسفَ بالجمالِ

(يخرج)

كسرى (بعظمة): بشراي ملكي ثابتُ الأركانِ

رغم العواصف مُدْعَمُ البِنيانِ

ما سار جيشٌ للمعامع والوغى

إلاّ وعاد مكلّلاً بأمانِ

ضرباتُ قلبي اِهدئي وتلوَّمي

وتيقّني أنّ الزّمانَ زماني

(يدخل الطُميح)

الطميح : سلامُ السّماواتِ يا ذا الجلالِ

كسرى : سلامٌ عليك هِزبرَ الوغى

أَبِن ما فعلتَ

الطميح : شهرتُ السّلامَ ولمّا استتبَّ خبأتُ القنا

ولكنّ شيبان ثارتْ عليَّ

فقام عَن النّاب صلُّ الرَّحى

فَصُلنا بعزمٍ كسيلِ الأَتيّ

يشقُّ القفارَ ويفري الفلا

وللسّهم رشقٌ وللرّمحِ نتقٌ

وللسّيف مَشْقٌ بِهامِ العِدا

ولما تكاثف ليلُ العوانِ

تبلّجَ للخصمِ صبحُ الرَّدى

فلم نتنسّم لهم نسمةً

فبعضٌ تلاشى وبعضٌ نجا

كسرى : وماذا أصبتَ من الإِنتصار؟

الطُميح : كواعبَ منها الظِّبا والمها

دعبل : كواعبُ منها الظِّبا والمها لعمري ذلك كلُّ المُنَى

كسرى : أدعبلُ ما بكَ ؟

دعبل : يا سيّدي يصفّق قلبي لذكرِ الهوى

فلا تنظرَنَّ لجسمي الهزيل بعين التهكّمِ والإِزدرا

فإن يكُ رأسي علاهُ المشيبُ فما زال قلبي صبيّاً فتى !

كسرى : عَلامَ تحثُّ الوئيدَ الخطا

وتحني الأصابعَ فوقَ العصا

دعبل : فما ذاكَ إلاّ لضربِ العذولِ

وطَردِ الرقيبِ قبيلَ اللِّقا

كسرى (ضاحكاً):

حقّاً لأنتَ نديمٌ ما لي بديلٌ عنهُ

دعبل : شكراً إليك مليكي فالشّكر لا بدَّ منهُ

(يستغرق كسرى بالضحك)

كسرى : طُمَيحُ أينَ السّبايا ؟

الطُميح : في القصر يا مولايَ

كسرى : جئني بهن سريعاً

دعبل : بحقِّ ربِّ البرايا (يخرج الطُميح)

كسرى : دِعبلُ هل مِن قصةٍ تُضْحِكُ ؟

دعبل : أمْر الآمرِ

مولايَ هل يُضحككم شعرُ الطّبيبِ الشّاعرِ

إن تأمروا أسمعْكمُ ما قد بقي في خاطري

الطّبيب : (حانقاً) مولاي !!

كسرى : مهلاً إننا في وقت أُنس وانشراحْ

دَعه يَقُلْ ما قولُهُ إلاّ ضروبٌ مِن مُزاحْ

(تدخل السّبايا)

السّبايا : ملكَ البلادِ تحيّةً وسلاما

كسرى : وعلى ظباءِ العُرب ألفُ سلامِ

كسرى إلى الحاضرين ما شاهدتْ عيناي أبهجَ طلعةً

من هذه الأطلاءِ والأرآمِ

فكأنَّهن وقد علاهنّ الحيا

سِحرُ الزّمانِ وفتنةُ الأيّامِ

دعبل : فإذا برزنَ لراهبٍ متبتّلٍ

عافَ الكنيسَ وهام أيَّ هُيامِ

من كان يرجو وصلَهن فإنّما

يرجو نوالَ البرِّ من حَاخامِ !

يوسف : مولايَ هذا بعضُ ما شاهدتَ من حُسن العَرَبْ

في كلِّ خِدرٍ غادةٌ هيفاءُ تبسم عن شَهَبْ

فكأنّها الحرقاءُ ما بين الرّصانةِ والأَدَبْ

كسرى : حرقاءُ؟ مَن هي هذه الحرقاءُ إن ذُكِرَ النَسَبْ

يوسف : فهي ابنةُ النّعمان يا مولاي

كسرى : ذلكَ ما يُحَبّ

يوسف : حَسناءُ لم تلد النّساءُ شبيهها مَرَّ الحِقَبْ

وهبَ الإلهُ مِن الجمال إلى صِباها ما وَهَبْ

كسرى : إني لأطلب كفَّها

الجميع : يا نِعْمَ ذيَّاكَ الطَلَبْ

كسرى : أعصامُ زِدني خِبْرةً

عَن ربَّةِ الحُسنِ العُجابْ

إذ أنت أدرى الناسِ فاصدقْني الحقيقة والصوابْ

ما بين حجّابِ الملوكِ ومالكيهم من حِجابْ

عصام : أنا أعهدُ الحرقاءَ يا

مولاي فاتنةً كَعابْ

تختالُ في بَرَد السّنا

وتتيه في بُرُدِ الإهابْ

لاغرو أن عُشِقَتْ فما

في العشقِ عندَ الطُّهر عابْ

كسرى : أتقولُ عن ظَنٍّ ؟

عصام : أجل

كسرى : الظَّنُ ليس له حسابْ

إلى الطُميح : سِرْ يا طُميح غداً إلى النُّعمان

واقرئه الكتابْ

واحملْ له المالَ الجزيلَ

الطميح : كما تشا عالي الجنابْ

كسرى : فإذا تَمنّع فانذر النّعمانَ في سوء المآبْ

الطميح : مولاي مَن يرمي بطوق

المكرماتِ عن الرقابْ؟

طوَّقتَ عنقَ أبي الفتاة السّمحِ بالمجد اللّبابْ

كسرى : ماذا يقول ابنُ الطُميح ؟

عصام : القولُ للملكِ المُهَابْ

مولاي أدرى بالأمور

وما له رأيٌ يُشابْ

كسرى : ومتى تسير إلى مليكِكَ يا عصامُ ؟

عصام : لدى الغيابْ

(ينهض كسرى والجميع ينهضون)

(الجميع ينشدون):

كسرى سليلَ العِظامْ والأكرمينْ

لا زلتَ كهفَ السّلامْ للآّجئينْ

نبعَ الصّفا وردَ الوفا

غوثَ الندى للعالمينْ

(الجميع يخرجون عدا عصام وعناد)

عصام : أترضى العُربُ بعلاً أعجميّاً إلى الحرقاء

عناد : ذلك ما يريبُ

عصام : فَمَنْ كسرى أنو شِروان حتّى

تُزّفَّ له المكرَّمةُ العَروبُ ؟

إباحيٌّ غصوبٌ مزدكيٌ

فبئسَ الدّينُ والفدمُ الغَصوبُ

وما النعمان إلاَّ نفسُ حرٍّ

لها للمجدِ والعليا وُثُوبُ

لَعمري لن يلبي أمرَ كسرى

وفي أعراقه نبضٌ يجوبُ

فسوف تقوم حربٌ من لظاها

وغائِلِها تُشَقُّ لها جُيوبُ

فكسرى لا تلينُ له قناةٌ

وحَولُ العرب في الهيجا عجيبُ

عناد : ولكن لم يَعُدْ للعرب شملٌ

ونجمهمو سيدركُه الغروبُ

عصام : يفرّقهم إذا نُصِروا سلامٌ

وتجمَعُهم إذا قُهِروا حروبُ

هم الغرُّ المطاعينُ الدّواهي

إذا ناداهمُ اليومُ العصيبُ

همُ الفرسان إن صهلتْ خيولٌ

وإن عضَّتْ على الشُكْم النيوبُ

لهم من كلِّ مكرمةٍ نصيبٌ

وما للجبنِ عندهمُ نصيبُ

إذا سِيموا بذلٍّ واضطهادٍ

فطعمُ الموت في فمهم عَذوبُ

عناد : غداً نستقبلُ الأخبارَ عنهم

عصام : وإنَّ غداً لناظِرِه قريبُ

(يسدل الستار)

الفصل الثالث

الرسالة

(مريم والحرقاء في قصر النّعمان)

الحرقاء : مضى الميعادُ يا مريمْ   وحبلُ تَصبّري يُصْرَمْ

مريم : سيّدتي

الحرقاء : هيّا اخْبري ماذا جرى للمنذرِ

مريم : لا شيء يا بنتَ الملو كِ تلوّمي وتصبّري

ضيفٌ عزيزٌ زارهُ ولأجْلِ ذا لم يحضرِ

واليومَ قد ذهبا إلى صَيدِ القَطا

الحرقاء : لا تَفْتري

مريم : وأبيكِ هذا ما جرى

الحرقاء : لكنَّه لم يُخبرِ

مريم : قد جاءَ فجرَ اليومِ

الحرقاء : لكنْ والدي ؟

مريم : لم يُبصرِ

فروى إليّ حديثَه وزيادةً لم يَذكرِ

(الحرقاء تتكئ على مريم ودلائل القلق عليها)

الحرقاء :

طالَ سُقمي ليت شِعري	أي متى ألقى شفائي
ليتني أعلمُ دائي	لأرى منه دوائي
لستُ أدري أيَّ أمرٍ	باتَ يدعو لشقائي
غيرَ أنّ النفسَ منّي	في انقباضٍ وعناءٍ

مريم : هوِّني عنكِ

الحرقاء : فهذا من تصاريفِ القضاءِ

مريم : مَلْكتي كلٌّ قضاءٍ لكِ يقضي في الهناءِ

ابنةُ النّعمانِ تشكو كيفَ حالُ الفقراءِ ؟

(أصوات من الخارج)

الحرقاء : إنّني أسمعُ وطءاً انظري مَنْ في الفِناء

(تنهض مريم وتطلّ إلى فناء الدار)

مريم : عادَ المليكُ وخلفَه وزراؤهُ وصِحابُهُ

الحرقاء : هيّا بنا

مريم : هيّا بنا قد أقبلتْ حجّابُهُ

(تخرجان)

(يدخل النّعمان ووزراؤه وحاشيته)

النّعمان : مسعودُ سِرْ وانظر عسى

في الباب بعضُ المُشتكين

مسعود :

في الباب يا مولاي مظلو ـــــ مٌ أتانا منذ حِينْ

تبدو على قسماتِهِ ـــــ سيماءُ مكتئبٍ حزينْ

النّعمان : سِرْ وادعُهُ

مسعود : سمعاً وطوعاً (يخرج)

النّعمان للحاضرين: من عسى الشاكي يكونْ ؟

(يدخل المظلوم وهو شيخ يهودي)

النّعمان : يا شيخُ مالكَ تبكي فإن ظُلِمتَ رَحِمنا

اليهودي : شُمنا عدالةَ كسرى وظُلمنا فبكَينا

النّعمان :

هوِّنْ عليكَ فإنّا ـــــ نُعطيكَ ما تتمنّى

كسرى عدلتَ ولكنْ ـــــ ما كنتَ أعدلَ منّا !!

الوزير ابنُ هاني لنفسه:

سيكشفُ الوغدُ الغِطاءْ ويَظهر الآن الخَفاءْ

يخاطب النّعمان:

قد جَاء هذا الشيخُ يا مولاي حبّاً بالعَطاءْ

فَلْنعطِه ولينصرفْ

(اليهودي بتهكّم): وأبيكَ ذلكَ لا أشاءْ

النّعمان : هيّا أفدني ما الخَبَرْ

اليهودي : للملك منّي ما أمرْ

قد كانَ يا مولاي لي خمسُ بناتٍ وبنينْ

لم يبقَ مِنهم غير حسناءَ تسرُّ النّاظرينْ

فأحبَّها رجلٌ طويلُ الباعِ ذو جاهٍ مكينْ

فأراد أنْ يلهو بها فرددتُه صِفرَ اليدينْ

لكنَّه قد عاد ليلاً مع لصوصٍ مجرمينْ

أخذوا فتاتي عَنوةً وأثاثَ مَنزلي الثمينْ

وطُرِحتُ في قعرِ السّجو ن أذوقُ آلامَ السجونْ

النّعمان : من ذلك المُتَغطرِسُ الجبّارُ والنذلُ الخؤونْ

اليهودي : فهو ابنُ هاني !

النّعمان باندهاش: يا بنَ هاني ما جزاءُ الظّالمينْ !!

إن لم نكن نحن الكرامَ ذوي الإباء فمن يكونْ ؟

ما حلَّ بالحسناءِ ؟

ابن هاني : يا مولاي في حصنٍ حصينْ

النّعمان : يا شيخُ قُلْ ما شئتَه واطلبْ ولو قطعَ الوتينْ

اليهودي : مولاي ما لي أولاً ثم ابنتي

النّعمان : والمعتدون ؟

اليهودي : الأمرُ للملكِ الهُمامِ الشّهمِ خيرِ الحاكمينْ

النّعمان : مسعودُ ألقِ ابنَ هاني في السجنِ

مسعود : كلُّ الطاعَهْ

النّعمان : وأنتَ يا شيخُ رُدَّتْ إليك كلُّ البِضاعَهْ

اليهودي : أبقاكَ للعدل ربّي شهماً تُشيد قِلاعَهْ

(يذهبون)

أحد الحاضرين للملك :

إنّ اليهوديَّ أمسى له حقوقُ الرجالِ

آخر : أتُرفَعُ لليهود بنودُ حقٍّ وتَغشى ظلمةَ السّجن النصارى؟

النّعمان :

بَلى فالناسُ كلُّهم سواءٌ إذا ما العدلُ كان كما أشارا

إذا لم يُبنَ فوق العدلِ ملكٌ فبشّرهُ التضعضعَ والدَّمارا

النّعمان : مَسْعودُ

مسعود : يا مولايَ

النّعمان : هَلْ في البابِ بعضُ الشّعراءْ

مسعود : أجل

فأدخلْهم إذن ففيهمُ بعضُ الصّفاءْ

سمعاً وطوعاً (يفتح الباب) اِدخُلوا (يدخلون)

الشّعراء : مَلكَ الأعاربِ عِمْ مَسَاءْ

قيس : لوصغتُ شِعري من عقودِ جُمانِ

لم أقضِ حقَّ مكارمِ النّعمانِ

ومِن الذي البحرُ الخضمُ بيانُهُ

يزري بكلِّ فصاحةٍ وبيانِ

سيّرتُ شِعري في عُلاك فلمَ يَقِفْ

إلاَّ وبزَّ بلاغةَ الذُّبياني

لم يستمعني شاعرٌ ما لم يقل (يقاطعه شاعر متلثّم)

الشاعر المتلثّم: قبحاً لشعرٍ ليس فيه معانِ

أتهينُني يا وغدُ (يضع يده على قبضةِ سيفه)

النّعمان : مهلاً مَن أرى يا شيخُ

المتلثّم : يا مولايَ إنّي القائلُ

اعقلْ قَلوصيَ أيّهذا الحادي

إنَّا بربعِ بثينةٍ وسُعَادِ

رَبعٌ عَفَتْه الرّيحُ في إعصارها

إلاَّ بقايا النّؤي والأوتادِ

لولا شذا الأظعانِ في عَرَصاتها

باق لضلَّ سبيلَه للهادي

فوقفتُ والوَجناءُ ترزمُ حسرةً

ولَغامُها متواصلُ الإزبادِ

فَجَرَتْ شآبيبُ الدّموع وأبرقتْ

زفراتُ وَجدٍ من صميمِ فؤادي

يا يومَ جدَّ الظّعنُ في ترحالهم

حَطَّمتَ من صفو الحياةِ عمادي

هلاّ جذبتَ العيرَ من أثفانها

ومنعتَ خِشفي من عبور الوادي

إنّي ليؤلُمني الوقوفَ معاتباً

مَنْ قلبُه قَدْ قُدَّ مِن أصلادِ

ففككتُ عن ساق القَلوص إباضَها

فجرتْ رسيماً في بِطاح قَتَادِ

وقطعتُ فيها كلَّ قَفرٍ قَرْددٍ

مستوحشِ القصّادِ والورّادِ

قد صَوَّحتْ فيه المياهُ فلا ترى

في الجَفر غيرَ العفر والأعوادِ

وتخال عصفَ الرّيح فوقَ هِضابِهِ

هزجَ السّميدع صِيدَ في المرصادِ

والذئبُ مَطويّ الحوايا لم يجد

في الحيّ معطَنَ ماعزٍ للزّادِ

قد حدّثته النّفسُ في مُهريّتي

فدنَا على كِبْرٍ بِهِ وعنادِ

قد خالني جبساً تَهزّ فرائصي

ومُعرَّداً من سِفلةِ الأوغادِ

فعوى وأردفَ أيطليه بِصُلْبهِ

وجثا يدقُّ البطنَ في استئسادِ

عاجلتُه مِنّي بحدِّ مُشَطَّبٍ

قد ملَّ طعمَ السُّهدِ في الإغمادِ

فاهتزّت الوجناءُ من طَربٍ بها

وتدفّقت كالسّيلِ من أطوادِ

تطأ السّفا مَسبوعَةً ومسيرُها

متواصلٌ والعزمُ في إمدادِ

قد أقسمتْ ألاَّ ينزِّلَ رحلُها

إلاَّ إلى النّعمانِ ذي الإرفادِ

ملكٌ رفيعُ البيت لم يُدعَمْ بهِ

غيرُ العُلا والمجدِ مِن أعمادِ

سَمحٌ يسيل الجودُ من أعطافهِ

سيلَ الأتيّ يشقُّ بطنَ الوادي

لا تبخلَنّ عليّ بالعفو الذي

أمّلتُه يا عُمدةَ الإنجادِ

قد خَرّص الواشون عنّي جهدَهم

إنَّ الوشاةَ كثيرةُ الأحقادِ

واليومَ جئتُك لاجئاً من بعدما

فتّ الضّنا بالأهل والأولادِ

صفرُ الوجوه تركتُهم في مأتَمٍ

يبكونني خوفاً مِن الأضدادِ

لكنَّ عهدي في حنانكَ ساقني

وإليكَ إنّي قد تركتُ قيادي

فاصفحْ وجدّدْ حُسْنَ ظَنِّك كيفَ لا

والصفحُ دوماً شيمةُ الأمجادِ

الجميع : الشّاعرُ الذّبياني الشّاعر الذّبياني

النّعمان : قد صفحنا وأجزنا وفعلنا ما ترومُهْ

الذّبياني :

دُمتَ للملهوف عوناً ولمن جلّتْ همومُهْ

النّعمان : مسعودُ أحضرْ مائداتِ الخمرِ مع حُورٍ وغيدٍ

مسعود : سمعاً وطوعاً **(يخرج)**

الذّبياني : سيّدي هل تنظرَنَّ إلى بَعيدِ

إنِّي أشاهد عِثْيراً يعلو على سَطح الكديدِ

وأرى هياكلَ

النّعمان : قد صدقتَ لعلَّها بعضُ العبيد

عصام : مولاي هذا والدي

النعمان : أأتى لوعدٍ أم وعيدِ ؟

وعلام حفَّت حولَه هذي الجموعُ من الجنودِ ؟

عصام : قد جاء في أمرٍ خطيرٍ دونَه عِرقُ الوريدِ

النّعمان : ماذا تقولُ ؟

عصام : لقد دنا

الذّبياني : الصّبرَ يا عالي الجدودِ

النّعمان : هيّا بِنا للقائِهِ **(يخرجون عدا اثنين)**

الأوّل : ما ذاك بالأمرِ الحميدِ

أمَلْكُ العروبة يسعى إلى

لقاءِ الطُميح فتى ملَّتِهْ ؟

الثاني : ولكنْ تذكَّرْ بأنّ الطُّمَيحَ

يمثِّل كسرى على صولَتِهْ

فماذا تُضِرُّ ملاقاتُه

وفي الأمرِ ما فيهِ من عِلّتهْ

فهيّا نجاري الزّمانَ المدى

ونرقصُ للقردِ في دولَتِهْ

(يخرجان)

(يُدخل مسعود مائداتِ الخمر)

مسعود : ذي قصعةُ اللوزينجِ أشهى من الفالوذجِ

(يأخذ قصعةً ويأكلها ويطلّ عبدٌ من الباب)

عبد : مَن قالها ؟ أنا لا أصدّق هاتِ ذوّقني

مسعود : اخرجِ

عبد : مسعودُ إنّك لا تزالُ على الطّريق الأعوجِ

(يخرجان)

(يدخل الطُميح والنّعمان جنباً بجنب وحولهما الحاشية)

النّعمان : حملتَ المصاعبَ فيما أظنُّ

غداةَ بلغتَ سفوحَ القِممْ

الطُميح : ولكنّ حولي أسودَ الفلاةِ

الكبارَ النّفوس العظامَ الهِمَمْ

وتحتي جوادٌ يُجاري الرّياحَ

ولم يَتمتّع بطولِ الشّكَمْ

النّعمان : تفضّل وبدِّدْ عناءَ المسيرِ

بخمرٍ تُعتَّقُ منذ القِدَمْ

وذاكَ مقامُكَ (يشير إلى مقعد)

الطُميح : شكراً إليكَ حميدَ المزايا كريمَ الشِّيَمْ

(يجلس النّعمان والطُميح ثم الجمع)

مسعود : الغانياتُ الراقصاتُ

النّعمان : الوقتُ يا مسعودُ فاتْ

(يخرج مسعود)

الطُميح : لَعمري هذا الخمرُ للنّفس منيةٌ

النّعمان : وهذا الشّذا كالنَّدِ والمِسكِ طيّبُ

على حبّ كسرى اشرب الكأسَ (يرفع الكأس)

الطُميح : إنّني على حبّ ملْك الحيرة الكأسَ أشربُ

(يرفع الكأس)

النّعمان : على حُبِّ قومي الكرامِ العَرَبْ (يرفع الكأس)

الجميع : على حبّ خيرِ ملوكِ العَرَبْ

(الجميع يشربون)

النّعمان : أطُميحُ هل لكَ أن تفضّ .

رسالةَ الملكِ الجليلِ

الطُميح : هذي الرّسالةُ خيرُ ما

جاءتْ به أيدي الرسولِ

بُشراكَ قد حُزتَ العُلا

والمجدَ يا سامي الأصولِ

(يخرج الرسالة ويقرؤها واقفاً والجميع واقفون)

مِن قاهرِ البلادِ وسيِّد العِبادِ

كسرى أنو شروانِ	عالي الذّرا والشّانِ
إلى مليك الحيرةِ	ذي الهمّة الكبيرةِ
نعمانُ لي لبانَه	عزيزةٌ مُصانَه
لبانتي الحرقاءُ	وكلُّ ما أشاءُ
هذا وفي الختامِ	مقدَّم سلامي

الطُميح : هذي رسالةُ كسرى فما جوابُكَ

النُعمان : سلبا

الطُميح : هل تقذفنّ بمجدٍ يكلِّل الرّاسَ عُجبا

ومن يخالف ليثاً لو خاطب الدّهرَ لبّى ؟ !

النّعمان بغضب: أناتَكَ أربيتَ فيما تقولُ

الطُميح : مقالي جَليّ المرامي مصيبْ

النّعمان : ركبتَ أخا العرب متنَ الغرورِ

ولم تتوجَّس مصيرَ الرّكوبْ

فإنّي سئمتُ مقامي الرفيعَ

وكسرى عليه مُطلٌّ رقيبْ

فواللهِ لو كان في الكفِّ عضبٌ

وحولي من الحَول دانٍ قريبْ

لما كان مثلي صبورَ الجنانِ

على حُكمِ باغٍ دخيلٍ غريبْ

فدنتُ إليه عديمَ الظهيرِ

ولم أرَ في ذاك بعضَ العيوبْ

فقد تبقر الشاةُ بطنَ الغَضَنفَرِ

واهي المخالب واهي النيوبْ

تعدّيتَ كسرى حدودَ اللّياقةِ

إنّ التَّعدّي أسُّ الكُروبْ

تطلّبتَ أمراً تهونُ عليهِ

جِسامُ الرّزايا كبارُ الخطوبْ

فلا يخدَعنّكَ فيَّ السّكونُ

فقد يسكنُ اللّيثُ عندَ الوثوبْ !

الطُميح : ما تقولُ الأمراءْ ؟!

أحد الحاضرين: إنّ في الأفواه ماءْ !

عصام : أمليكُ هذي لَطخةٌ من عارِ

فَحَذارِ منْها يا مليكُ حذارِ

كِسرى وإنْ يكُ في البلاد مُسيطرا

لا ينتمي لعراقةٍ وفخارِ

أتصاهرُ الأعجامَ ؟

آخر : هذهِ مُضغةٌ شَنعاءُ تبقى في فمِ الإعصارِ

الطُميح : ثَكِلتكَ أمُّك يا عصام ألم تَهَبْ كِسرى ؟

عصام : لَعمري ليس في أفكاري

الموتُ أهون عندنا من أن نرى الحرقاءَ زوجَ العِلجِ

الجميع : يا للعارِ ؟

الطُميح : أَيُهان كسرى؟ تلك أقتلُ طعنةٍ

للعُربِ لن تشفَى مدى الأدهارِ

عصام : كلُّ امر ئٍ لا بدَّ يلقى حتفَه

آخر : فاختره تحتَ الصّارم البتَّارِ

الطُميح : وأراكَ يا نعمانُ تصمتُ فانتظرْ

هولَ الهِزبر الفاتحِ القهّارِ

فلسوفَ يجتاحُ البلادَ بجحفلٍ

ويعودُ عَنْها وهي صِقْعُ دمارِ

ويدوسُ عرشَكَ بالسّنابكِ عَنوةً

ويسيرُ بالحرقاءِ في الأمصارِ

ويُبيدُ ذكركَ !

النعمان : لا ملامةَ طالما حتفي أتاني في سبيل ذِماري

فإذا انقلبتَ إلى مليككَ قُلْ له

عِرضُ الحرائرِ لا يُباع لشاري !

الموتُ أهونُ عندي مِن هذهِ الأمنيّهْ

فاخْبرْ مَليككَ أنّي ذو نخوة وحميَّهْ

تراه يجهلُ أنّي من أمّةٍ عربيَّهْ

لله أمةُ مجدٍ بها النّفوسُ أبيَّهْ

فلا تُخوَّفُ كسرى ولا تَهاب منيَّهْ

إن كانَ ثمة عارٌ

الطُميح مقاطعاً: لا عارَ في ذي القضيَّهْ

النّعمان : ارجع لِملكِكَ (يضرب على المائدة بقبضة يده)

الطُميح : لكنْ في العَود شرٌّ بليَّهْ

النّعمان : إنّ المقدَّر يجري في الصّفحة الأزليَّهْ

(الستار)

الفصل الرّابع

المنظر الأول

(المنذر بن الريّان قربَ قصر النعمان)

المنذر : اليومَ حَقَّ لأدمعي أن تهمعا

ولقلبيَ المصدوعِ أن يَتَوَجَّعا

رحَّبتُ بالعيشِ السّعيدِ ولم أكدْ

أحظى به حتّى وقفتُ مشيِّعا

فَضَّت نِقالي الحادثاتُ وبدَّدتْ

شملي وهزَّتْ ركنيَ المتصدِّعا

لهفي على هذي الربوعِ أتمّحي

مِن بعدنا وتصير قاعاً بلقعا ؟!

فلكم لنا من ضَجعةٍ في ظلِّها

نشكو الغرامَ ونستهلُّ الأدمعا

واليومَ يا حرقاءُ (تظهر الحرقاءُ فجأةً)

الحرقاء (مداعبةً): جئتَ منادماً هَلْ غيرُ ذلكَ ؟

المنذر : بَلْ أتيتُ مُودِّعا !

الحرقاء : ومتى تعودُ ؟ غداً ؟ أبَعْدَ غَدٍ ؟

المنذر : بَلْ فوقَ ذلكَ !

الحرقاء : قل إذنْ لن ترجعا !

المنذر : ماذا أقولُ فِداكِ نفسي

الحرقاء : قُلْ فَما أبقيتَ في قوسِ التّصبُّرِ مَنْزِعا

المنذر : نُبئتِ عن أمرِ الطُميحِ رسولِ كسرى

الحرقاء : كلَّ شَرْ !

المنذر : ورجوعِه خاوي الوِفاضِ ولم يَنلْ منَّا وطَرْ

والیومَ جاء بجحفلٍ

الحرقاء : ويلاه! ما هذا الخبرْ !!

ألِقَتْلنا ؟

المنذر : لا بل لأخذكِ

من يَدَيْ بطَلٍ نَمِرْ

وحياةِ عينكِ وهي أغلى

من فؤادي والبَصَرْ

وجمالِ مَبْسمِكِ الشّهيّ

وورِدِ خدّيكِ النَضِرْ

لم تحظَ فيك يدُ العدا

وبجانبي زعِفٌ ذكَرْ

لو بِتِّ في خطرٍ فديتُ

بمهجتي دَفعَ الخَطَرْ

سأسيرُ يا حَرقاءْ في

طَلَبِ الأشاوسِ من مُضَرْ

أمرَ المليكُ بأن أسيرَ

ولا مَردَّ لِما أَمَرْ

* * *

أيا حَرقاءُ عهدُ الأنس ولَّى

وإنَّ البؤسَ طوعَ الدّهرِ حلاّ

فهلاّ تحفظينَ الودَّ هلاّ

وترعَينَ المودّةَ والذِّماما

الحرقاء : أمنذرُ سِرْ وكُنْ خَير الرّجالِ

وَدَعْ ذكرى لأيّامِ الوِصالِ

فلا يمنعْكَ عن نيلِ المعالي

ونيلِ المجدِ ما يُدعى غَراما

(يخرجان)

(يظهر النّعمان وحاشيته بملابس الحرب)

النّعمان : المجدُ للفَعّال يومَ جهادِ

وَلِمن يُبدّدُ صولةَ الأوغادِ

ولِمن يجاهِرُ بالحقيقةِ نفسِها

ويَصدُّ عنها غارةَ الأضدادِ

والمجدُ لا يندكّ صرحُ جلالِهِ

إن كانَ شِيدَ على تُقىً ورشادِ

فارفعْ لنفسك في حياتكِ مجدَها

إنّ الحياةَ تسيرُ إثر نَفادِ

وإذا عجزتَ وما أصبتَ رمايةً

فاخلعْ عليها ألفَ ثوبِ حدادِ

كسرى! تهدِّد أشْهَباً في بُرْدِهِ

نفسُ الملوكِ وهمّةُ الآسادِ

نفسُ الملوكِ أبيّةٌ لا سيّما

مَنْ ينطقون طبيعةً بالضادِ

فلسوف أدفعُ ما استطعتُ بِمُرهفي

بغي العداةِ وكيدَها المتمادي

حتى إذا ما متُّ متُّ مُكرَّماً

وكذا يموتُ الحرُّ في استئسادِ

إن الحياةَ وإن غَلَتْ لرخيصةٌ

إنْ قامَ أمرُ مَواطنٍ وبلادِ

يا قومُ هذي جُندُ كِسرى أقبلتْ

في جحفلٍ يحكي الحَصا في الوادي

فاستبسلوا وتهيّؤوا لنزالِهم

الجميع : إنّا إلى الجُلّى على استعدادِ

سنقابلُ الحتفَ الرّهيبَ بواسماً

النّعمان : حُييتمو يا نُخبةَ الأمجادِ

(أصوات وضوضاء مختلفة)

ألقوا السّلاحْ ألقوا السّلاحْ

واستسلموا قبل الكفاحْ

ألقو السّلاحْ

النّعمان : خسئتمْ مَعشَر الأنذالِ

لسنا معشراً أنذالْ

فلو للخلق مثَّالٌ

لكنّا دُمْيَةَ المثّالْ

يظنّون الخميسَ المَجْرَ

والصيّابَةَ الأبطالْ

تذلِّلُ من عزائمنا

فترغمَنا على الإذلالْ

رويداً سوف تلقَون .

الغزاةَ الصّيدَ والأقيالْ

أصوات : ألقوا السّلاحْ ألقوا السّلاحْ

واستـسلمـوا قبل الكفاحْ

ألقو السّلاحْ

(تدخل جنودُ كسرى)

النّعمان : كلابَ الفرس أكثرتُم نباحاً

أمامَكمُ أسودٌ لا تضامُ

الجنود : مكانكمو

العرب : خسئتم

الجنود : استعدّوا (يتبارزون ويقع النّعمان)

النّعمان : على الدّنيا وأهليها السّلامُ

(النّعمان يسلم الرُّوح)

الطُميح : يا جندُ سِيروا واجلبوا الحرقاءَ

الجنود : أمرَ القائدِ (يخرجون)

الطُميح لنفسه: ستصير زوجَ المَلْكِ رغم مُكابرٍ ومُعاندِ

(يدنو من جثث القتلى)

الطُميح :

نعمانُ ما أغناكَ عن هذا المصيرِ القاهرِ

فوق الحصا والرّملِ لا فوقَ الحريرِ الفاخرِ

(يلتفت فيرى جندياً قادماً)

الطُميح : مَنْ قادمٌ ؟

الجندي : مولاي

الطُميح : قُلْ لي ما جرَى؟ هل مِنْ خَطَرْ ؟

الجندي : كلاّ ! ولكنْ لم نَرَ الحرقاءَ

الطُميح : ما هذا الخبرْ !؟!

(منهمكاً) : فرَّتْ؟ ولكنْ ليس مِن بطشي ولا عزمي مَفَرْ

ألا فاخبر الأعراب أن يتّقوا الأذى

وأن يعلموا مِنْ أمرِنا ما توقّعا

فَمن يُجِر الحرقاءَ نقتله عَنوةً

ونتركْ ربوعَ الدّار للوحشِ مَرْتعا

فَسِرْ لا تقفْ

الجندي : أمرُ الهمام مُنفَّذٌ

أَسيرُ به نحو الأعاربِ مُسرعا

هو ذا عِصامٌ قد دنا

الطُميح : ولدي الجسور ؟

الجندي : بنفسِه (يخرج الجندي)

الطُميح (لنفسه):شابٌ له خُلْقُ الهزبر ببطشه وببأسهِ

(يدخل عصام)

عصام : أبتاه ما فعلتْ يداكَ وما جنيتَ على العَرَبْ

قلَّدتنا بالعار يا مثلَ الخنا

الطُميح : يا للعجبْ

إنِّي أراكَ مكلِّمي في لهجةٍ ملئتْ أدبْ

عصام : أتعجباً يا وَصْمَةَ الأخلاق في وجه الحِقَبْ

انظر إلى هذي الدِّماءِ

الطُميح : لقد أثرتَ بي الغضبْ

عصام (يتمُّ) : فكأنَّ فيها ألسناً

تشكو الأذى تشكو الحَرَبْ

فاسمع إليها إنّها

في الصمت أنطق مَنْ خَطَبْ

أنساكَ كسرى حبَّ قومِكَ

بالمراتب والذهبْ

فأتيتَ تبطِشُ فيهم

فَهَنَاكَ كان لكَ الغلَبْ

ما يفعلُ النّفرُ القليلُ

أمام فيلقِكَ اللّجِبْ ؟

الطُميح : أخطأتَ ظنَّكَ في أبيكَ

وداخلتْكَ به الرِّيَبْ

ولدي لقد عاهدتُ كسرى

أن أقومَ بما طلَبْ

أقسمتُ أن أحمي حمَى

ملِكي وجئتُ بما وَجَبْ

عصام : وأنا لقد عاهدتُ نفسي

أن أكونَ فِدا العَرَبْ

فمِن الخنا إنْ لم أدافع

عنهمو كفَّ النُوَبْ

أبي علّمتني حِفظَ الولاءِ

أبي أرضعتَني لبنَ الإباءِ

أبي شيّدتَ بي صرحَ الوفاءِ

وهل ترضى له الهدَم الوبيلا ؟

الطُميح : عصامي هكذا تحيا الرجالُ

مثالاً للمروءةِ لا ينالُ

تموتُ ولم تَمتْ منهمْ خِلالُ

يُردَّد ذكرُها جيلاً فجيلا

وإنّي لستُ أحنث في يميني

وقد شدَّت عُرا قسمي يميني

فدافعْ ما استطعتَ عن العرينِ

فما في الموتِ ما يَصِمُ النبيلا

(يتبارزان)

عصام : طعنتَ حُشاشتي !!..

الطُميح : شُلّت يداي عصامي قُم !

عصام : لقد خارت قواي

الطُميح : ألا لله ما أحلى المنايا (يحاول أن يطعن نفسه)

عصام : أبي لا تظهر الجبنَ الوبيلا

أبي لا تبك ذا شأنُ الجبانِ

فكلٌّ مُعمَّرٍ لا شكَّ فانِ

فخيرُ الموتِ في يوم الرّهانِ

يَهزُّ المرءُ فيصلَهُ الصَّقيلا

(يقع عصام ميتاً)

الطُميح : عصامي! آهِ فارقني عصامُ !

(يَدخل بعض الجنود)

الجنود : سجوداً أيّها الجندُ الكرامُ

(يسجدون)

المنظر الثاني

(الحرقاء ومريم هائمتان في البراري)

الحرقاء : واذلَّ يعربَ أينَ السادةُ النجُبُ

وأينَ منهم أسُودُ الغاب إنْ غضبوا

وأين مجدُهم السّامي الذي رفعوا

وأين مُلكهم العالي الذي ضربوا

مضَوا ولم يبقَ منهم غيرُ زعنفةٍ

إنّ الزعانفَ لا تفنيهم الحِقَبُ

ويلاه ما عملي والهولُ يحدق بي

من كلِّ ناحيةٍ والويلُ والحَربُ

فالفرسُ ترصِدُ لي والعربُ توصِدُ لي

باباً أيمّمهُ مذ حُمَّت النُوَبُ

يا جارتي لم يَعُدْ في العيش لي أملٌ

والموتُ لي أرب يا حبّذا الأربُ

مريم : بالله لا تقنطي! صبراً !

الحرقاء : وهل أملٌ في ذي الحياة لنا نرجو ونرتقبُ

مريم : الله يرحمنا والله يحفظنا والله يُحصن يا حرقاء لا العربُ

(**الحرقاء ترى الخيام**): لمَن الخيامُ ؟

مريم : خيامُ بكرٍ كلّها

الحرقاء : أترى البنونَ تكون كالآباءِ ؟

قد كان (وائل) قبلهم (وكليبه)

أُسْدَ الشّرى وفوارسُ الهيجاءِ

لا يُسألُ الجاني إذا ما جارهم

لا يرجع العافي بلا إقراءِ

فإذا أُجِرنا قد أمنّا هولَ مَنْ

ساروا لخضبِ سيوفِهم بدماءِ

وإذا طُرِدنا والنّجاةُ تعذَّرتْ

فالخِنجرُ البتّار خيرُ دواءِ

(تشير إلى خنجر)

الحرقاء : نامتْ وطالَ هجوعُها وسُباتها

أممٌ تذلّ فحولُها وحماتُها

لانتْ على مرِّ الزمانِ قناتُها

والحرُّ يأبى أن تلينَ قناتُها

لم يبقَ للأعرابِ إلاّ بلقعٌ

نعقَتْ على عَرصاتِه حدآتها

فالمجدُ أقفرَ بعد زَهو رياضِهِ

والعزّةُ القعساءُ ماتَ هواتُها

والذلُّ خيّم والحميّةُ بُدّدَتْ

والعربُ أمستْ هجّعاً ساداتُها

(تجهش بالبكاء)

مريم : كفكفي دمعكِ فالدّمعُ الشّديدُ . لا يفيدُ

بل يميت القلبَ في هذي اللُّجَجْ

فاصبري فالصّبرُ مِفتاحُ الفَرَجْ

الحرقاء : إنّما قد بلغَ السّيل الرّبا . والزُبى

(تظهر صفيّة حجيجةُ العرب)

صفيه (لنفسها): ما الذي أسمعُهُ؟ ماذا أرى . يا ترى ؟

ابنةٌ تشكو ! وأخرى في انتحابْ

ما الذي ألقاهما فوقَ العذابْ ؟!

عن قريبٍ أعلمُ الأمرَ الغريبْ . عن قريبْ

(تدنو منهما)

صفية : ألا يا جارتَيْ أريافِ بكرٍ

علامَ تشكيان وتبكيانِ

الحرقاء : على قوم جهابذةٍ عظامِ

خناديقَ ومفخرةِ الزّمانِ

على قومٍ لقد تركوا أناساً

رضَوا بالعار فيهم والهوانِ

على قومٍ أباةِ الضّيم ولّوا

وكانوا الأُسدَ في يوم الرّهانِ

صفية : فمَن تعنين يا هذي ؟

الحرقاء (لمريم) : أجيبي أراني لا يطاوعني لساني

مريم : لقد قَتَلَ الطُميحُ وجندُ كسرى

أبا قابوسَ صَيّانَ الكيانِ

صفية : ألا يا ويلَ أقوامٍ لئامٍ

تهدُّ بكفِّها صرحَ الأماني

مريم (تتمّ) : وذي الحرقاءُ

صفية : اَلحَرقاءُ ؟!

مريم (تتمّ) : ضَلَّتْ ولم تعثرْ على دار الأمانِ

صفية : وأين العُرْبُ ؟

مريم : قد جَبنُوا جميعاً

صفية : وهل في العُرب من جِبْسٍ جبانِ ؟

مريم : لَعَمرُكِ لم يَلِنْ قلبٌ إلينا

ولم يعطفْ على ضعفِ الغواني

وها إنّا نَهيمُ بكلِّ قَفْرٍ

هُيامَ النِّكسِ في لَيلِ العَوانِ

ألا تدرين ذلك ؟

صفية ! لا وربّي

مريم (إلى الحرقاء): رسولُ الفرس ضلَّ عن المكانِ

(مريم تخبر صفية بالأمر)

مريم : يسيرُ رسولُ الفرسِ في كلِّ مَوضعٍ

تقيم به الأعرابُ وهو يَقولُ

فمن يُجِر الحرقاءَ نقْتله عَنوةً

صفية : ليهنِكِ بكرٌ باعُها لطويلُ

فإنْ هي جارَت هالكاً إنّ جارَها

«عزيزٌ وجار الأكثرين ذليلُ»

«لنا جَبَلٌ يحتلُّه من يجيرُه

منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليلُ»

فلا تجزعي

الحرقاء ومريم : فبكرٌ كريمةٌ بها هِممٌ معروفةٌ وفحولُ

(صفيّة تنظر إلى الأمام فترى هاني بن مسعود)

صفية : هاني ابنُ مسعودٍ دنا

مريم : هيَّا بنا للقائِهِ

(يظهر هاني بن مسعود)

هاني بن مسعود : يا جارةَ العرْبِ الكرامِ تحيّةً

الحرقاء : وإليكَ يا عَضُدَ المُجار تحيّه

هاني بن مسعود: هل تعلمين أيا صفيّةُ مَن أتى ؟

صفيه : كلا !

هاني بن مسعود : رسولُ الأمّة العَجميّه

صفيه : ومتى أتى ؟

هاني بن مسعود : بالأمس

الحرقاء : تلك بليّةٌ طرقَتْ سبيلي

هاني بن مسعود :ما هناك بليّه !

صفيّة : ماذا فعلتَ فهل أهاللكَ أمرُهُ فوعدتَهُ ...

هاني (مقاطعاً الحديث): هل تجهلين صفيّه !

هل تجحدين شهامةً أوتيتُها

وورثتُها عن أمّةٍ عربيِّه

ومتى رعاكِ اللهُ دانَ لجائرٍ

مَن كان أكثرَ أنْفةً وحميَّه

فرددتُهُ

صفيّه : لكنّ بكراً ما لها حولٌ لدفع الفرس عن أمنيَّه

هاني بن مسعود: إنّي بعثتُ لحيّ تغلبَ صارخاً بالأمسِ

صفيّه : هذي حكمةٌ ورويّه

هاني بن مسعود: ألا يا ابنة النّعمان إنّا لعصبةٌ

نذافعُ حتّى ليس في الكفّ أبترُ

فإن مزَّقَ الأعجامُ منّا جموعَنا

الحرقاء : فإنَّ مماتَ الحرِّ في النّقعِ أجدرُ

(أصواتُ طبول)

هاني بن مسعود: اسمعي صوتَ الطّبولِ

وانظري جمعَ الخيولِ

أقبلتْ تعدو إلينا

الحرقاء : مَن عليها من فحولِ ؟

هاني : تغلبٌ

الحرقاء :

أنعم بقومٍ   مِن فروعٍ وأصولِ

قد دَنَتْ منّا رجالُ   الفخرِ والمجدِ الأثيل

(يدخلون برئاسة ابن حداجة)

ابن حداجة : ألا يا بكرُ جئناكم سراعاً

هاني بن مسعود: فأهلاً فيكمُ يا قوم أهلا

فيا بنَ حداجةٍ فرّجتَ كربي

ويا بن حداجةٍ أحسنتَ فعلا

ابن حداجة : أتيناكم بعزمٍ تَغلبيٍّ

نُلبّي أمرَكم شاباً وكهلا

هاني :

فما في تغلبٍ إلاّ نفوسٌ

لها في العزّةِ القِدْحُ المعلَّى

أسودٌ ليس تنكرها الأعادي

إذا ما الهولُ في الهيجاءِ جلاّ

تقود الخيلَ للهيجا حفاةً

وتحذوها من الأشلاءِ نَعلا

ابن حداجة : أتدعو بكرُ جارتَها وتأبى ؟

لعَمري ذاكَ لم تعرفْه أصلا !

دعتْ بكرٌ فلبّتها بعزمٍ

يَفَلُّ الصّخرَ والصَّوّانَ فلاّ

(قرع طبول)

(أصوات تتعالى): بدِّدوا شملَ الأعادي

بالسّيوفِ الباتِرَهْ

واجعلوا مجدَ البِلادِ

كالسّنين الغابِرَهْ

ابن حداجة : يا هانِ إنّا إنْ بَقينا

سوف تقهُرنا العَجَمْ

إنّ الشّجاعةَ دون

موقعها جنونٌ مُدلهِمّ

فَلْنَنزحَنَّ ونكمننَّ

بطَودِ ذي قار الأشمّ

فإذا غدوا بالوادِ قُل   شملُ اللّئام قد انفَصَمْ

هاني :

هذي لعَمْري خطةٌ   ما مثلُها أبداً رُسِمْ

(يرفع سيفه ويقول): إلى ذي قارَ يا أُسْدَ البِطاحْ

ففي ذي قارَ شاراتُ النجاحْ

فإنّ البيضَ مع سُمْر الرماحْ

تخطُّ الفوزَ والنّصرَ المبينا

أما والله إنّا لا نعودُ

إذا لم تُفْنَ في الحربِ القرودُ

فما فينا إذا سِرنا شَرودُ

يهابُ الموتَ كلاّ ليس فينا

(يخرجون عدا الحرقاء وصفيّة ومريم)

الحرقاء : إلهي هَبْ إلى الأعرابِ نصرا

وبدِّد عنهمو طغيانَ كسرى

إلهي أنت بالأعجام أدرَى

فلا ترفعْ عمادَ الظّالمينا

(تركع)

المنظر الثالث
(ذي قار)

الحرقاء، مريم، صفيّه، يشاهدن المعركة

صفيّة : ويلاه مِنْ ذاكَ الخميسِ إذا تهيّأ واقتحَمْ

حرقاءُ هلا تنظرين إليه

الحرقاء : كالبحرِ الخِضَمْ

ها قد دنا يجتازُ بطنَ الوادِ

صفيّة : ذا سيلُ العَرِمْ

والفيلُ يمشي في طليعته الوئيدَ المنتظَمْ

حرقاء قد حَلّ العدوُّ ببطنِ ذي قارَ الأشمْ

وأحاطت الأعرابُ بالأعجام من كلِّ القِمَمْ

هانـي بنُ مسعودٍ يصولُ

الحرقاء : كذا يصولُ المنتقِمْ

وبقربها ابنُ حداجةٍ

بالطّعن كالفرد العلم

صفيّه: حرقاءُ! إن الفيلَ يبطشُ

بطشَ ذئبٍ بالغنَمْ !!!

الحرقاء : ويلاه ! إنّ العربَ قد ...

خارتْ.. قُواهم.. والهِمَمْ ...

يتراجعونَ إلى العلا ...

صفيّة : ربّاه!. شَمْلُهم.. انفَصَمْ ..

ماذا أرى ؟!!

(**الحرقاء تنظر إلى الأمام**) نجدةٌ للفرس قادمةٌ

صفية : قد تَمّ نصرُهُم !!

مريم : سُحقاً لأوغادِ

الحرقاء : والعربُ قد هلكتْ

صفية

: الموت أجدرُ بي (ترفع مِدية لتطعن نفسها)

الحرقاء : والموتُ أحفظُ لي من بطش حُسّادي

(ترفع مديتها)

مريم : مهلاً أيا حرقاءُ مهلاً أيا صفيّه

ذي نَجدةٌ عرباءُ ليستْ بفارسيَّهْ !!!

(**الجميع بسكون**) : ذي نجدة عرباءُ ليست بفارسيَّهْ !!!

مريم : لقد أتتْ طودَ ذي قارٍ على قَدرِ

كما أتى ربَّه موسى إلى الوادي

صفيّة : لقد شدّتْ بها الأعرابُ أزرا

وعادوا يطلبون النَّصر قَسْرا

الحرقاء : أحاطوا بالعدا من كلِّ صَوْبٍ

كبازٍ رامَ بالمكّاء شرّا

وكرّوا

صفيّة : في طليعتهم هُمامٌ

مريم : غريبٌ ما عرفنا عنه أمرا

يشقُّ برمحِهِ درباً ويجري

ويرمي حوله عَشراً فعشرا

صفيّة : لعَمْري إنّه فخرٌ لقومٍ

إذا ما لم تحُز من قبلُ فخرا

يكرُّ عليهم ليثاً هِزَبرا

الحرقاء : ويرجع عنهم ليثاً هِزَبرا

لقد ألقى الطُميحَ

مريم : أجل رماه وأرسل فوقَه الطّعناتِ تَترَى

صفيّة : وتحذو حَذْوه الأعرابُ

الحرقاء : ها قد تضعضعَ يا صفيّةُ جيشُ كسرى

فإنّ البعضَ أشلاءً ترامى

صفيّة : وإنّ البعضَ يا حرقاءُ فرّا

خلا ذي قارَ إلاّ مِنْ أسودٍ

تزيد العربَ إجلالاً وقدرا

الحرقاء : إلهي كنتَ للأعراب عوناً

فشكراً مبدعَ الأكوانِ شكرا

صفية : لقد عادوا وللرّاياتِ خفقٌ

تَودّ على ذرا العيّوق نَشْرا

(تدخل العربُ حاملين الرّايات)

(بعض الشّباب): اليومَ يومُ الشُّرب يا

إخوانُ ما أحلى الظَفَرْ

فَلْنرشف الخمرَ العَتيقَ

إلى المساءِ إلى السَحَرْ

هاني بن مسعود: كذا فليبدَّد شملُ مَنْ رام قهرنا

ومَنْ رام قهرَ العرب فالله قاهرُهْ

صفية : فإنَّ الكريمَ الحرَّ إن سلَّ سيفَهُ

لدفع الأذى فاللهُ يا هانِ ناصرُه

يا هانِ أينَ الهمامُ الفارسُ البَطَلُ ؟

هاني : أين الهمامُ ؟

بن حداجه : ففيه جُدِّد الأملُ

صفية : لولاه ما رُفِعَتْ للعرب رايتُها

هاني : لولاه تمّ إلى الأعجام ما سألوا

الحرقاء : تراه هل قتلوه ؟!

هاني : ربّما !

ابن حداجه : أسفاً !

الحرقاء لنفسها : لعلَّه !!

مريم : ويلَ جيشِ الفرسِ مَنْ قتلوا !

(يدخل رجلٌ مقنَّع)

المقنّع : سلاماً يا بني العُرْبِ الغراةِ

الجميع : سلامُ الله يا ليثَ الكماةِ

بن حداجه : أحيٌّ أنت!

الجميع : بشرانا جميعاً

الحرقاء : أمِط بالله !!

المقنّع : طوعاً للفتاة (يرفع القناع)

الحرقاء : المنذرُ بنُ الريَّان

الجميع : المنذرُ بن الريَّان

الحرقاء : أفي حلمٍ أنا ؟

مريم : حرقاء صمتاً فلا تفشي من الحبّ الكمينا

المنذر : أيا حرقاءُ هذا ثأرُ عَمّي

الجميع : إليك الشكرَ منّا أجمعينا

ابن مسعود : ألا يا قومُ ملْكُ العُرب هذا (يشير إلى المنذر)

الجميع : رَضينا وهو خيرُ المالكينا

هاني بن مسعود : وذي الحرقاء زوجُ الملك

المنذر : إنّي قبلتُ بها (يخاطبها) فهلاّ تقبلينا

الحرقاء : بروحي مالكي !

صفيّة : انقادت إليه

مريم (لنفسها) : قد انقادا لبعضهما سنينا

(الجميع ينشدون):

نلنا المُنى بعد العنا بالسّيفِ والرّمحِ السّنين

فَلْنخذل الحسّادَ وَلْنخسف عمادَ الظّالمين

وليبقَ مجدُ العربِ طول الدَّهر وضّاءَ الجبين

(الستّار)

مسرحيّة طوفان

نشرت لأوّل مرّة في مجلة «الحديث» تحت عنوان طوفان / أوبرا ذات فصل واحد 1934، ثمّ تصدّرت ديوان «شعر» 1936 في قسم أعطاه الشاعر مصطلح: «مسرح» تحت عنوان «طوفان» وقد أُضيفت ملحوظة في الفهرس آخر الديوان بجوار «طوفان»: «وحي أفلام سينمائيّة»، ووردت مقطوعة «سلوان» مستمدّة من هذه المسرحيّة في ديوان: «من عمر» مع عتبة: «من غنائيّة الطوفان»، وترجمها أبو ريشة ضمن مختاراته بالإنكليزيّة «roving along» مع عتبة تبيّن أنّها مستوحاة من فيلم سينمائي .

شخصيّات المسرحيّة

الشاب

الفتاة

الخمّار

الفقير

الخادم

لورا

التاجر

القسّيس

روّاد الحانة

طوفان

(حانة تحت الأرض، موائد خمر، سكارى، صاحب الحانة، خادم)

(يدخل شابٌّ متأنّق)

الشّاب : تلك الرؤى من باسماتِ شبابي

ما زلتُ ألمَسُها على أهدابي

أيامَ أُطلِقَ للفؤادِ عِنانُه

وأُنيخَ في ليلِ الضّلالِ ركابي

إنَّ الحياةَ جميلةٌ إنْ أهلُها

عرفوا مكانَ جمالها الخلاّبِ !

فاملأ ليَ الأكواب حتّى تلتظي

شفتاي فوقَ مراشفِ الأكوابِ

الخمّار : اشربْ على نَخْبِ الهوى وجنونِهِ

اشربْ

الشّاب : فألوانُ الحياةِ شرابي

المَعْصياتُ ركضتُ في تيّارها

وجعلتُ بؤرةَ خِزيِها مِحرابي

ولبستُ، حيث الحسنُ، بُرْدَ تهتّكي

وخلعتُ، حيثُ الحسنُ، طُهرَ نِقابي

« يشرب وهو يقهقه ثملا. تدخل فتاة »

الفتاة : زوجي !!

الشّاب : أتتْ؟ تبّاً لها

الفتاة : زوجي !

الشّاب : ابعدي أو تندمي !

الفتاة :

أكذا تجرّعني بهجرِكَ أكؤساً مِنْ عَلْقمِ ؟!

هلاّ رَثَيتَ للوعتي وتَفجّعي وتألّمي ؟

الشّاب : لا تقربي منّي «يدفعها»

الفتاة :

بربِّكَ ما جنيتُ ؟ تكلَّمِ !

أتصدُّ عنّي بعدما شرفي تلطّخ بالدّمِ ؟

وبلغتَ ما تصبو إليه !

الشّاب : كفاكِ لا تَتَظلّمي !

لا تُتْهميني يا بغيُّ بمثلِ ذا لا تُتْهمي !

الفتاة : ربّاه عفوكَ !!

(يغمى عليها فيجلسونها على مقعد)

الخادم : سيّدي ارحمْ فتاتَكَ اِرْحمِ !

الشّاب : دَعْها فكيدُ الغانيا تِ لديّ ليس بمُبهمِ

(يدخل فقير مُسِنّ)

الفقير : هل مِنْ كريمٍ محسنٍ ؟

الخادم : اذهبْ ولا تتقدمِ !

(يلحق به فيهرب. تدخل لورا المومس)

الشّاب لورا...

الجميع : أتتْ لورا

(لورا مازحة) : ِقفوا

الجميع : غنّي لنا وترنّمي !

(يحملونها إلى البوفيه لورا تغنّي)

يا قلبُ حزنُكَ ما أشدَّه — خَفَرَ الحبيبُ اليومَ ودَّهْ

ماذا عليكَ إذا تنا — سيْتَ الهوى وطويْت عهدَهْ

أَمِنَ المودَّةِ أنْ تعيـ — ـثَ بأضلعي أَمِنَ المودَّهْ ؟!

جاوزتَ حدَّ الحزنِ يا — واهي القُوى جاوزْتَ حدَّهْ

لو كان حزنُكَ يستردُّ — وفاءه لكَ لاستردَّهْ

قد طابَ بعدَك عيشُهُ — فعلامَ عيشُكَ ساءَ بعدَهْ ؟

كم مَرتعٍ بتنا به — واللّيلُ حاكَ عليه بُردَهْ

ولكم أذعتُ إليه وجدي — في الهوى وأذاعَ وجدَهْ

وكم اتّكا فوقَ الزّهورِ — ومدَّ لي باللّطفِ زَندَهْ

حتّى إذا طوّقته — أدميتُ بالقبلاتِ خدَّهْ !

الجميع : تحيا لورا تحيا لورا

الشّاب : تعالَي واشربي قَدَحاً معي لورا

لورا : كما ترضَى

الشّاب : وأنتم يا أصيحابي !

الجميع : نشربُ نخبَها مَحْضا !

(يجلسون حول مائدة، والخادم وراءهم)

هذا نبيذٌ طيّبٌ مرَّتْ عليه الأَعْصُرُ

الشّاب : كِذْبٌ لَعَمْري إنَّه بالأمس كان يُقطَّرُ

«يضحكون ويشربون»

لورا : مسكينةٌ هذي الفتاةُ بما تَراها تفكّرُ ؟

«تشير إلى زوج الشّاب»

الشّاب (بهزل): ولهانةٌ ! وعشيقُها هذا المحبُّ الموسِرُ

«يُسمع صوت رعد»

لورا : اسمعْ !

الشّاب : رعودٌ في السّما بركانُها يتفجَّرُ !

أحدهم : اشربْ ولو مادتْ بنا الدّنيا وقامَ المَحشَرَ !

«دخل تاجرٌ مبلّل الثياب. يبدأ بخلع معطفه»

الخادم : أهلاً وسهلاً سيّدي

التاجر : هيئٍّ شراباً يا فتى

«يركض الخادم »

أفٍّ لهذا العيشِ كم يَرمي بنا فوقَ الشَّقا

إنّ التّجارة أصبحتْ عبءاً تنوء به القُوى

الخمّار :

إنَّ الحياةَ جميعَها أمستْ مفكّكةَ العُرا

«يناوله كأساً»

«يدخل تاجر آخر»

التاجر الأول (لنفسه):

هوَ ذاكَ خَصمي في تجا رتي الوحيدةِ قد أتى

الخادم : شرّفتنا يا سيّدي

«يناوله كأساً»

التاجر الثاني : شكراً فهذا المُرتَجَى !

« **يشرب**»

الأول :

شرّفتنا ... ثَكِلَتْكَ أمُّـ ـكَ من فتىً رَضِعَ الخنا

النذلُ ليس له إلى الشرفِ المُكَّرمِ منْتَمى !

الثاني : النذلُ أنتَ ..

الأول :

إذن ستعلمُ أيُّنا نذلاً يُرى

« يتلاكمان. الخادم يحول بينهما»

الخادم : نظارِ ! نظارِ !

الشّاب :

دَعِ السيّدين لنبصرَ أيُّ فتىً يُنْصَرُ

« **يضحكون** »

الخمّار :

مكانكما إنّ هذي اللّجا جةَ غيرَ المصائبِ لا تُثْمِرُ

«صوت رعد»

للخادم

وأنتَ.. أتسمع كيف الرعودُ غدتْ في فسيح الفضا تزأر

فَسِرْ أغلق البابَ مِن قبل أن تسيل المياهُ

الخادم : كما تأمرُ

«يدخل الفقير، الخادم يسير لإغلاق الباب»

الفقير : أما مِن كريمٍ ؟

الخادم :

ألا ترعوي ؟ ألا تستكنُّ؛ ألا تُزجَر

« يدفعه »

«يدخل قسّيس معتوه، يدفع الفقير والخادم فيرميهما. الفقير يختبئ في زاوية»

الخادم : أأعمى !!

القسّيس : تأدَّب فإنّي امرؤٌ إلى مثلِ وجهكَ لا أنظرُ

«الخادم يخرج»

القسّيس (للجميع):

يا سُكارى في حَمْأة الخزيوالجهـ لِ أما آنَ أنْ تتوبَ السُّكارى ؟!

النبيّون والملائكُ ضجّوا من أذاكم وأدبروا استنكارا

قد جعلتم هذي الحياةَ شروراً وملأتم عرضَ السّما أوزارا

«صوت رعد شديد»

اسمعوا اللهَ وهو ينفخُ في البو ق ويُجري من كفِّه أبحارا

«الجميع يلتفون حول القسّيس ويتغامزون»

الشّاب :

أفي الحاناتِ يا قسّيسُ تُلقي دروساً كلُّ ما فيها فضولُ؟

القسّيس : إلهي إنّهم تاهوا وضلُّوا إلهي هل لهديهمُ سبيلُ ؟!

«صوت صاعقة وأمطار. يدخل الخادم»

الخادم : إلهي ! ...

الجميع : ما جرى ؟

القسّ (يتهكّم) :

فاضتْ عيونٌ وسالتْ أنهرٌ وطغتْ سيولُ

الجميع :أحقٌّ ما يقولُ ؟

الخادم : أجلْ؛ لعَمْري أرى الصّدقَ المحقَّقَ ما يقولُ

القسّيس :

هو الطّوفانُ يغسل كلَّ رجسٍ ويقضي تحتَه الشرُّ الوبيلُ

فبعدَ اليومِ ترتفعُ الخطايا وتضحكُ من بني الدّنيا طلولُ

فلا قابيلُ عربيدٌ وقاحٌ ولا هابيلُ مطروحٌ قتيلُ !!!

« **رعد وعواصف** »

الجميع : أليسَ إلى النّجاةِ لنا سبيلٌ

القسّ : وهل عَنْ إمرةِ المولى عُدولُ ؟

الجميع : أَنقضي مُكْرَهينَ ؟

أجلْ سنقضي فَنَجمُ العيشِ أدركَهُ الأُفولُ!

القسّيس(للخادم): فَسِر وافتح لنا الأبوابَ

الجميع (بخوف) : صبراً فإن الصّبرَ في البلوى جميلُ

القسّيس :

أراكم كالمخبّطِ في ظلامٍ وليس له بِحَيْرتهِ دليلُ !

فَموتوا كالأسود !

الجميع : هل الخطايا تزولُ بموتنا أم لا تزولُ ؟!

أيغفرُ ربُّنا ؟

القسّيس :

توبوا إليهِ وإلاّ ذقتمو ناراً تَهولُ

تصكُّ لدى تأجّجها نيوبٌ وتهلعُ عند مرآها عقولُ!

أحدهم :

واحسرتاه أموتُ والآ مالُ تذهبُ في الأَثَرْ!

«يبكي»

الشّاب :

لهفي على الدّنيا وأيّا مٍ قضيتُ بها الوَطَرْ

آخر : طِفلي !

آخر : أخي !

آخر : أمّي !

آخر : أبي !

آخر : زوجي !

القسّيس : لقد وقع القدَرْ !

خلّوا الدّموعَ فإنَّها مُلكُ الجبانِ إذا اندحَرْ

الله يَكْرِه كلَّ رِعدِ يدٍ يعيثُ به الخوَرْ!

«عواصف»

التاجر الأول :

الموتُ قد حَسَمَ النّزا عَ فهاتِ كفَّكَ يا رفيقي!

التاجر الثاني : صفحاً صديقي عن إسا ءاتٍ مضتْ صفحاً صديقي

«يتصافحان»

القسّيس : يا قومُ إنّا كلّنا إخوانُ صدق ووئامْ

الحقُّ جرَّدَ سيفَه يبري به هامَ الأنامْ

فَلنغسلِ الأحقادَ ولننسَ الضغينةَ والخِصامْ

الفتاة : ربّاه أين أنا ؟

«تفيق من إغمائها»

الشّاب : انهضي زوجي؛ اصفحي عنّي؛ اصفحي

الفتاة :

دعني وشأني أيّها الخادعُ لا تَستسمحِ

الشّاب : عفواً مُنَى نفسي ..

الفتاة : ابتعدْ واسرحْ بِخزيكَ وامرحِ

القسّيس :

إنّ عهدَ الخصامِ يا عَفَّةَ البُر دِ تقضَّى وفاتَ عهدُ الندامَهْ

انهضي واسدُلي على الأمسِ ستراً

واسألي اللهَ رحمةً وسلامَهْ

كلُّنا اليومَ إخوةٌ !

الفتاة : أتراني في منامٍ به الرّؤى بَسّامَهْ ؟!

الفتاة (للشّاب) : أصحيحٌ ما قال ؟

الشّاب : عفوَكِ زوجي لا تزيدي هذا الفؤادَ سآمَهْ

الفتاة : أبغيٌّ تقولُ عنّي ؟!

الشّاب : صفحاً شاربُ الخمر لا يزينُ كلامَهْ !!

أنتِ في هيكلِ الوفاءِ مَلاكٌ أنتِ في رَوضةِ الولاءِ حمامَهْ

«يبكي»

الفتاة :

زوجي أراكَ مكلِّمي في لهجةِ مُلِئتْ أَلَمْ

القسّيس :

السّاعةُ اقتربتْ وهـ ذا الكونُ أدركَهُ العَدَمْ!

«صوت رعد»

الأرضُ تفتحُ شِدْقَها والأفق يقذفُ بالحِمَمْ!

الجميع (بسكون):

الأرض تفتح شِدْقَها والأفق يقذفُ بالحِمَمْ!

الفتاة :

ربّاهُ فجرُ سَعادتي ما افترَّ إلاّ أنْ قَتَمْ

زوجي !..

الشّاب :

اصْبري فالمرءُ مَنْ لَمَسَ الشّدائدَ وابتسَمْ !

القسّيس :

هيّا نصلّي يا رفا قُ إلى إله العالمين

إنَّ الصلاةَ بها نُكَفّرُ عن ذنوبِ الخاطئينْ

وبها انشراحٌ للصدو ر وسَلوةٌ للقانطينْ

هيّا نصلّي خاشعين

الجميع : هيّا نصلّي خاشعين

«الجميع يقفون بخشوع»

القسّيس : يا سيّدَ الكونِ إن الجهلَ ضجَّ بنا

واشتدّ حبُّ المعاصي والأذى فينا

يا سيّدَ الكون إنّا في الظلام لقد

سِرنا ولم نحترمْ دنيا ولا دينا

يا سيّدَ الكونِ كم زلّت بنا قَدَمٌ

وكم طغت في مخازيها أمانينا

يا سيّدَ الكونِ كم سِرنا إلى صَنَمٍ

قد صاغه الطّمعُ الطّاغي مُصلّينا

يا سيّدَ الكون صفحاً عن نقائصنا

يا سيّد الكونِ صفحاً عن مساوينا

يا سيّدَ الكونِ هَبنا منكَ مغفرةً

واقبلْ لنا توبةً

الجميع : آمينَ آمينا

لورا :

أيعفو اللهُ عن ذنبٍ علـيَّ الدّهرُ قد جرَّهْ

وُلدتُ كما يشاءُ الطُّهرُ في مهدِ النُّهى حُرَّهْ

ولكنْ قد سقاني اليتمُ من كأسِ الملا مُرَّهْ

هيَ البشريّة الخرقاءُ كم داست على زهرَهْ !!!

القسّيس :

بُنيَّةُ شَيّعي الماضي ولا تتوجسي شرَّهْ

ولا تبكي على ثوبٍ أزال هواتهُ طهرَهْ

فكم من درّةٍ في الوحل تبقى دهرَها درَّهْ !!..

الخادم (لنفسه) :

ويلاه قد أزِفَ الفناءُ فلا مفرَّ من القَدرْ !..

فلأعترفْ بخطيئتي لأموتَ مرتاحَ الفِكَرْ

«يعطس الفقير»

الجميع : من ذلك الشّيخُ العجوزُ ؟

الفقير : حنانَكم

الخادم : هذا فقيرٌ بالشّقاء عريقُ

الفقير : رحماكَ ..

الخادم :

لا تخشَ الأذى فجميعُنا أهلٌ إليكَ وصاحبٌ وصديقُ

الفقير : الجوعُ أضناني !

الخادم : تصبَّرْ

«يذهب الخادم ليحضر طعاماً»

الفقير : إنّه عمرٌ سيمضي والحياةُ طريقُ !

«يأتي الخادم»

الخادم : كُلْ ما تُريدُ

الفقير :

إليكَ شكري كله اليومَ درَّ على لساني ريقُ **!**

«يأكل بنهم»

الخمّار :

تعالوا نشرب الخمرا على حبِّ الرّدى القادمْ

ونلقّى الموتَ في عزمٍ بأعصابِ التُّقى قائمْ

«يلتفون حول البوفيه»

الخمّار للخادم :

لا تَسق من هذي الخمو رِ أحبّتي يا غافلُ

هل أنتَ عمّا تحتوي متجاهلٌ أم جاهلُ !!!

هل بعدَ هذا اليومِ تُنْصَبُ للأنام حبائلُ ؟!

جِئْهم بما خبّأتُه

القسّيس : إنّ الزّمانَ لزائلُ !

الخمّار :

أيّها السادةُ اصفَحوا عن أثيمٍ كان يبتزُّ منكمُ الأموالا

كم مزجتُ الخمورَ قِدْماً بماءٍ وجعلتُ الحرامَ عندي حلالا

الجميع : قد صفحنا فلا تُبالِ

الخمّار : إليكمُ فاشربوا سادتي رحيقاً زلالا

«يشربون. القسّيس يحمل الكأس ويغني نشيد الموت»

يا مركباً حَيرانْ في قبضةِ البحرِ

قد حوَّلَ الرُبّانْ مجرَاكَ للبرِّ !

الجميع : يا مركباً حيران ...

القسّيس :

الركبُ قد هلّلْ للراحةِ الكبرى

والمركبُ استرسل في جَريه حُرّا

والشاطئُ الفتّانْ أبدى مُحيّاهُ

قفْ أيُّها الرُّبانْ في نورِ مَجْلاهُ !

ماذا ورا الشّاطي ؟ ماذا وراءَ النورْ ؟

هل دمعةُ الخاطي ؟ أم بسمةُ المَسرورْ ؟

أم عالمُ الأوهامْ !

«**الخادم يبكي**»

الخمّار : ما الذي يبكيك هل تخشى الرّدى ؟

الخادم : لا وربي إنما أخشى مصيري

أنت قد أحسنتَ لي لكنّني لم أكن أهلاً لإحسانٍ وفيرِ

كنتُ لصّاً باعَ في شَهْواتِهِ   عزَّة النّفس وعلياءَ الضّميرِ

سيّدي عفوَكَ !

الخمّار :

لا تبكِ أخي   ماضياً فالعفو لله القديرِ

ليس لي عندَكَ ما أسأله إنْ دعانا الله في يومِ النّشورِ

«يضع يده على كتفه بلطف»

القسّيس (متوهماً): فَسدَ الهواءُ

أحدهم : أجل لقد فَسدَ الهواءُ

آخر : تصبّروا ..

آخر : عزمي وهَى !

القسّيس :

هيّا افتحوا   الأبوابَ لا تتأخّروا

سِيروا إلى الموتِ الرهيـ   ـبِ كما يسير القَسْوَرُ !

«يذهب الخادم ليفتح الباب»

أحدهم : رُحماكَ يا ربّاه !

آخر : يا ربّاه إنّكَ تغفرُ

القسّيس :

أُبْنا إليكَ وكلُّنا   بجميلِ حِلْمكَ نشعرُ !

«تدفق المياه ثم تنقطع»

الجميع (بذهول):

أُبْنا إليكَ وكلُّنا   بجميلِ حِلْمكَ نشعرُ !

« يظلون مطرقين قليلا ثم يلتفت بعضهم إلى بعض»

«يدخل الخادم راكضاً»

الخادم : سادتي ! سادتي رأيت أناساً تتمشَّى على الرّصيفِ

الجميع بذهول : أَصِدْقُ !؟!

أحدهم : آهِ !

آخر : ما أجمل الحياةَ

آخر : نجونا

القسّيس : بل رجعتم إلى الشِّقاوة فاشقُوا

الشّاب : أين طوفانُكَ العظيمُ ؟

آخر : أتهذي

آخر : أنت يا قسُّ بالممات أحقُّ !

الشّاب :

يا فؤادي صَفّقْ فإنَّكَ حرٌّ وتنعَّمْ ففي دمائكَ شوقُ

« القسّيس يستند إلى جدار»

«الجميع يهمُّون بالانصراف»

الخمّار :

سادتي سادتي! اذكروا ثمنَ الخمر فإنّي كما علمتم فقيرُ !!!

الشّاب : أنا أعطيكَ ما تريدُ مِن الجمعِ

«يخرج دراهم من جيبه»

الخمار : وإنّي إلى نَداكَ شكورُ !

الشّابّ : خُذْ ... تعالَيْ يا منيةَ النّفس لورا

لورا : أين نمضي ؟

الشّابّ : لقد دعانا السُّرورُ !

«يخرج الشّابّ ولورا»

الفتاة (لنفسها) : «تجدّد حديثه الأول»

أبغيٌّ تقول عنّي ؟. صفحاً شاربُ الخمرِ لا يزينُ كلامَهْ

أنتِ في هيكلِ الوفاء ملاكٌ أنت في رَوضةِ الولاءِ حمامَهْ!

«تخرج بقنوط.. ويتبعها التاجران فيصطدمان»

التاجر الأول : ابتعد أيُّها اللّئيمُ

التاجر الثاني : تراجعْ أيُّها النّذلُ

التاجر الأول : هاكَ يا مغرورُ

«يخرجان وهما يتلاكمان»

الخادم :

قُمْ أيُّها الشّيخُ العجوزُ ولا تطأْ هذا المكانَ فما إليه طريقُ !

الفقير (بتهكّم) :

يا صاحِ لا تخشَ الأذى فجميعُنا أهلٌ إليكَ وصاحبٌ وصديقُ

«يخرج بألم»

الخمّار :

أيُّها الخادمُ. اُتْرك خدمتي أنت لصٌ كلَّ محظورٍ تبيحُ

الخادم : سيّدي عفوَكَ

الخمّار :

لا عفوَ ابتعد إنّ أفْق الرّزق

في الدنيا فسيحُ

«يخرج الخادم ببطء وحزن»

القسّيس (ثائراً) :

لا تنفع الشكوى فهذا الورى ضجَّ به البغيُّ فما يخجلُ

الأرضُ للطّوفانِ محتاجةٌ لعلّها من دَرنٍ تُغسَلُ

(السّتار)

مسرحيّة «عذاب»

ظهرت هذه المسرحيّة في 1936 في مجلة الحديث مع تعريف: أوبيرا ذات فصل واحد بقلم الشاعر الملهم عمر أبو ريشة، وفي ديوان «شعر» في قسم حمل عنوان «مسرح»، وأخذت مكاناً في ديوان «من عمر» 1947، وبعدها عاودت الظهور في «مختارات» 1958، وختم بها الديوان بصورته الأخيرة: «ديوان عمر أبو ريشة» 1971، ولكن سُبِقت بمصطلح في صفحة مستقلّة: «أوبريت»، وترجمها عمر ضمن مختاراته بالإنكليزيّة «roving along»، ووضع لها عنواناً مؤدّاه: «ضربات الريشة الأخيرة final touches» مع مصطلح أوبريت «an operette» .

شخصيّات المسرحيّة

جميل: (فنّان تشكيليّ)

سعاد: (زوجته)

نزار: (صديق الفنّان وكانت تربطه أواصر بسعاد قبل زواجها)

عـذاب

«يرفع الستار عن صالة للتصوير في غرفة فقيرة الأثاث. المصور أمام لوحة يرسم عليها صورة زوجته سعاد وهنا وهناك مقاعد مبعثرة».

جميل المصِّور:

جمالَ الحياة على مقلتيكَ

سكبتُ فؤادي، فلا تهجعِ

عصرتَ على شفتيّ المنى

فسالتْ نعيماً على أضلعي

عرفتُ بكَ اللهَ بعد الضَّلالِ

فدلَّ البديعُ على المبدعِ

أغنّيكَ حبّي، وهذا الوجودُ

ضحوكُ الثّنايا يُغنّي مَعي

«ينادي»

سعادُ، مُنى القلب، خلي الرّؤى

تذوبُ على دافئِ المضجعِ

لقد أومأ الصّبحُ للسّاجعات

فهبّت تفتّش عن مرتعِ

«تدخل سعاد»

سعاد (بدلالٍ) : جميلُ !

جميل : سُعَادُ

سعاد : أَصوّرتني ؟

جميل : أُريد يدَيْ ساحرٍ مبدعِ

ظلالُ الهُيولَى وألوانُها

وراءَ بناني، ولم أَقنعِ

ومن دونِ روحِكِ هذا القناعُ

وما نَسجَ الظَّنُّ من بُرقعِ

كأنَّ حدودَ الفنونِ انتهتْ

وما بلَّغتني مدى مَطْمعي

«يرمي بريشته وينهض»

سعاد : حبيبي ...

جميل : فديتُ الشّفاهَ التي

تصبُّ الخلودَ على مَسْمعي !

«يقبّلها»

سعاد : تقبّلني ؟ إنّ خدّ الوسادِ

تململ في ليلنا المُمْتعِ

جميل : أَيُروَى جريحٌ، صريعُ الظَّما

أكبَّ عَياءً على مَنْبعِ !

هبي قلبيَ البكرَ طفلَ الحياة

تشبّث بالثّدي من مُرضِعِ

تعالَي، أطلِّي على عالمٍ

يُعربد في سُكْره الموجعِ

«يتجهان نحو النافذة»

سعاد : أَحنُّ إلى مثل تلك القصورِ

كستْها الخمائلُ أبهى حُلَلْ

فكم مرَّغَ الفجرُ أجفانَه

عليها، ولم تتفتّحْ مُقَلْ

جميل : جمالُك أحرى بقصرٍ منيفٍ

إليه جناحُ الرّؤى ما وصَلْ

وفيمَ التّمني، وثغرُ النّعيمِ

على مَبسمينا نديٌّ القُبَلْ

سعاد : أتسمع ؟ مَن يا ترى قادمٌ

«يدخل نزار»

جميل : نزارُ ؟

نزار : أجلْ يا رفيقَ الصّغَرْ

سعادُ !

جميل : لقد تاب عن بغيِهِ

زماني وردَّ المنى، واعتذرْ

نزار (بألمٍ) : لتجرِ لياليكما كلُّها !

مضمَّخةً بالأماني الغُرَرْ

فما العمرُ إلاّ التفاتُ الرّضى

إلى ما رمَى خلفَه مِن أَثَرْ

جميل (مداعباً): أنتَ نزارُ ! ألا لهفةٌ

لديكَ إلى الموعدِ المُنْتَظَرْ

وفيمَ تلكّأتَ عن زَورتي ؟

أعن سَلوةٍ منكَ أم عن كِبَرْ

أهذا وفاؤكَ

سعاد : عفواً نزارُ،

«تذهب»

جميل (يتمّ) : أما زلتَ خِدن الهَوى والسَّمَرْ

تناسيتَ عهداً سخيَّ اليدين

نديَّ الظّلال، شهيَّ الصُّوَرْ

تجدِّد في كلّ يومٍ هواكَ

وتقطفُ من حيثُ شئتَ الثَمَرْ

كطيرٍ لعوبٍ، سريعِ الجناحِ

فما قرَّ في الدّوحِ حتّى نَفَرْ

نزار : رويدَكَ، لا تنكأَنَّ الجراحَ

على ذكرياتِ رؤىً هُجَّدِ

لقد نفضَ اللّهوُ منّي يدَيهِ

فلن نتلاقى على موردِ !

جميل : لكَ الخيرَ كيفَ حمِدتَ السُّرى

وليلُكَ ما نمَّ عن فَرقدِ

فأيُّ هوىً باركَتْه السّماءُ

سَرَيتَ على وَحْيه تهتدي ؟

أَأَعرفُه ؟ أمْ أنا واهمٌ

حسبتُكَ تخلَعُ ما ترتدي !

«تدخل سعاد بطبق من السّكر»

سعاد : أأبطأتُ ؟

نزار : أخجلتِنا يا سعادُ

وأعطيتِنا فوقَ ما نجتدي !

«يتناول هو وجميل قطعة»

جميل : نزارُ، هنا سَلوتي كلّما

عثرتُ بأحلاميَ الشُّرَّدِ

« يشير إلى سعاد فتقع عينه على طرف ردائها الممزَّق»

ولو أستطيع خلعتُ الضّياءَ

وشاحاً على قدِّها الأملدِ

سعاد (خجلى) : تحمِّلُني العطفَ حتّى أنوءَ

به يا جميلُ، فلا تَزْددِ

«تخرج راكضة»

جميل (لنفسه) : ألا يا متاعَ الحياةِ الرخيصَ

أتبسِمُ لليومِ أمْ للغدِ

أخا الودِّ، إنّي على مَوعِدِ

فَصِلْنا نَصِلْكَ بلا موعدِ !

«يحمل جميل أحد ألواحه ويخرج مع نزار، تدخل سعاد مضطربة»

سعاد : كأنّي أراهُ وفي مقلتيه

بريقٌ من الغَيْرةِ العاتيَهْ

أَعَادَ لينشرَ مِن أَمسِهِ

صحائفَ أهوائِهِ الماضيَهْ

أهاجْته ذكرايَ ؟ أم رفرفَتْ

عليه طيوفُ الهوى الدّامِيَهْ

تفيضُ يداه بذوبِ اللّجينِ

إذا ظمئتْ نفسُهُ الطّاغيهْ !

«يدخل نزار»

أراكَ رجعتَ !

نزار : دعاني الهوى

وأيقظ آلاميَ الغافيَهْ

سعاد : وزوجي !

نزار : دعينا ...

سعاد (مقاطعة) : احْترمْ شعلةً

أضاءت على روحي الدّاجِيَهْ

أهنتَ الصّداقةَ ...

نزار : لا تجرحي

ضميرَ المروءةِ يا قاسِيَهْ !

سعاد : أتذكُر ماضيكَ ؟..

نزار : كفَّنْتُه

وواريتُهُ حُفْرةً نائِيَهْ !..

سعاد : وهمسُ الوعودِ على مَسْمعي

نزار : أكفِّرُ عنهُ بِعبْراتيهْ

لقد هزَّني منْكِ هذا الجمالُ

مَهيناً بأسمالِه البالِيَهْ

ألا تبصرينَ الصّبايا الملاحَ

ورقَّةَ أبرادِها الزّاهِيهْ ؟

ألا تحزنينَ على زَنْبق

يُحيط به الشّوكُ في الآنِيهْ ؟!

سعاد(بارتباك): نزارُ ...

نزار : لعينيكِ ما في يدي

فلا تحبسي القبلةَ الشّافيَهْ

«**يريها خاتماً**»

سعاد (متردّدة) : ولكنَّ زوجي ...

له الجدولُ

السّموحُ ولي جرعةٌ صافِيَهْ

نزار (مقاطعاً) : ولا أرتجي غيرَها قبلةً

ولو غَضِبتْ نفسيَ الظّامِيَهْ

سعاد (لنفسها): أأمنحُه قبلةً من فمي

وأدفِنُ تذكارَها في العَدَمْ

سعاد (لنزار) : نزارُ أخافُ جنونَ الشّباب

وأخشىَ أنوءُ بعبءِ الألَمْ

نزار : لعَمْرُكِ، ما رُمْتُ ما يجرحُ

المروءةَ أو يستفزُّ النّدَمْ

أريدُ أقبِّلُ هذا الذي

يطهِّر روحي ويجلو السَّقَمْ

ويسكُبُ في جانبيَّ الهدى

ويرفعُ عن مُقلتيَّ الظُّلَمْ

سعاد : أَتُقْسِمُ أنْ لن تعودَ إليَّ

نزار : وعينيكِ .. هل فوقَ هذا قَسَمْ ؟

سعاد : تقبّلني **!.**

نزار : مثلَما قبَّلَتْ

شفاهُ الحجيجِ جدارَ الحَرَمْ

«يعانقها ويدخل جميل وفي يده حقيبة صغيرة»

جميل (بذهول): تبسَّمْ على الجُرحِ يا خافقي

فقد وثبَ السّهمُ من قوسهِ **!**

«نزار وسعاد يفترقان . يسقط الخاتم على الأرض»

سعاد (بذهول): جميلُ **!**

نزار : جميلُ **!**

جميل (باسماً) : ألا رقصةٌ

على مأتمِ الحبِّ أو عُرسِهِ **؟!**

جميل (لنزار) : تراهُ خفوقاً على رِجْسِهِ

أراهُ صريعاً على قُدْسِهِ

ضعِ الزّهرَ غضّاً على مهده

وإنْ شئتَ ضعْه على رِمْسهِ !..

سعاد : جميلُ حنانَكَ ...

«ترتمي عليه ونزار مطرق»

جميل (بخبثٍ) : يا نعمةً

أحبَّ إلى المرءِ من نفسه

ألستِ عزائي إذا ما تألَّبَ

بؤسُ الزّمانِ على أُنْسِهِ ؟!

سعاد : إلهي !

«تخرج بذهول»

جميل (لنفسه) : أَيبكي امرؤٌ يومَه

إذا غرسَ البغيُ في أَمْسِهِ

«نزار يهم بالخروج»

نزارُ ؟ إلى أين يا صاحبي

أطيرٌ تململَ في حَبْسِهِ !

علامَ الذّهولُ ؟

نزار : ألا خلِّهِ

يمزِّق روحي على ضِرْسِهِ !

جميل (بخبثٍ) : ألستَ صديقي وهل بيننا

حجابٌ تخافُ أذى لَمسِهِ ؟

وماذا يضرُّ الكريمَ الوفيَّ

إذا شربَ الصّحبُ من كأسِهِ ؟

نزار (بصوت وحشيّ) : كفى؛ لا تَزِدْ ...

«يخرج مشدوهاً»

جميل(بمضض) : يا لَصرحِ المنى

أيقلَعُهُ الغدرُ من أُسِّهِ ؟!

« يرى الخاتم على الأرض فيأخذه »

أفاعي الحياةِ ألا مزَّقي

صدورَ الحنانِ ولا تَنْدمي !

وصُبّي لعابَكِ في طعنةٍ

تئنُّ اشتياقاً إلى بلسمِ

فعَنْ كلِّ نابٍ تفيضُ الرُّقى

وتذهبُ بالألم المُفْعَمِ

فسيبي على غَيْرتي إنَّها

تُوَلْولُ في أفْقها المُظلمِ !..

«يناجي الخاتم»

هو الثَّمنُ البَخْسُ، ردَّ الهوى

ذبيحاً إلى قلبي المُضْرَمِ !..

أخاتمُ ! إنّي أرى مَبْسماً

على شفتيه بقايا الدَّمِ !

وألمحُ أشباحَ بغي الورى

تموّجُ في ماسِكَ الأقتمِ

خيالُ الضّحيّة يبكي عليكَ

ويشتمُّ فيكَ فمَ المجرمِ !..

وما لفتةٌ منكَ في خِنصَري

بأهونَ مِن عضَّةِ الأَرقمِ !..

« يلتفت يمنة ويسرة وينادي»

سعادُ ! سعادُ ! ألا تسمعينَ !

لقد بُحَّ صوتي وجُنَّ النّداءْ

«تدخل سعاد باكية»

أتبكين ؟ وا لهفتي للعيونِ

يُكسِّر أجفانَهنَّ البكاءْ !

دعينيَ أشربُ هذي الدّموعَ

تموجُ عليها طيوفُ الوفاءْ !!.

«يقبلها وهي تبكي»

كفَى يا سعادُ

سعاد : جميلُ اتئدْ

وردَّ بعفوكَ بعضَ العزاءْ

لقد ضقْتُ ذرعاً بوخزِ النّدامَةِ

جميل (بمكرٍ) : شُلّتْ يداها ؟!

سعاد : كفاكَ ازدراءْ

خذِ القلبَ وامضغْه يا قاتلي

بهذا التّهكّمِ والإجتراء !

جميل (بخبث) :

معاذَ الهوى، كيفَ أقسو عليكِ

وأقسو على كِبرياءِ الوفاءْ ؟!

«ترى الخاتم في خنصر جميل»

سعاد : إلـهي .. أخاتَمُه ؟

«تقعد على المقعد خائرة»

جميل (بخبث) : اِنهضي

ولا تتركيني خَدينَ الشَّقاءْ ؟

ففي جبهتي أنتِ أنتِ الخيالُ

وفي مقلتي أنتِ أنتِ الضياءْ !

ولولاكِ كنتُ طريدَ الحياةِ

أجوبُ السّرابَ سليبَ الرَّجاءْ !

سعاد (بتوسل) : جميلُ !..

جميل : مُرِيني بما ترغبين

ولا تمطريني بهذا الجفاءْ !

«يفتح الحقيبة ويخرج رداء منها»

سعادُ ابسمي !

سعاد (بسكون) : ما أرى يا جميلُ ؟

جميل : رداءٌ تحنُّ إليهِ النّساءْ !

لقد نسجتْهُ يدا فِتنةٍ

على قَدِّكِ الغضِّ

«يحرك الخاتم بخنصره»

سعاد : يا للسّماء !

جميل (يتمتم) :

عُصارةُ فكري لقد بعْتُها

وجئتُ إليكِ بهذا الرّداءْ

«يحرك الخاتم بخنصره»

سعاد (باضطراب): جحيمُ الحياة !

«تنهض بجنون»

جميل (بسكون) : جرى سمُّها

يَعيث بأحنائها كيف شاءْ ...

«ترمي سعاد بنفسها من النافذة، جميل يضحك ضحكة وحشية ثم يجلس بسكون أمام صورة فتاته ويبدأ بإتمامها»

(الستار)

1935

محكمة الشعراء

نشر هذا النصّ المسرحي في مجلّة «الحديث» 1934 وذلك على النحو التالي: نشر الفصل الثالث في الصفحات 145 - 157 وسبقه : بقلم الشاعر الملهم الأستاذ عمر أبو ريشة، وجاء الفصل الرابع في الصفحات 458-475 وسبقه: للشاعر العبقري الأستاذ عمر أبو ريشة، ولم يتابع الشاعر نشر ما يسبقهما أو يتلوهما من فصول .

شخصيّات المسرحيّة
القضاة

أبولون	إله الشعر
منيرفا	إلهة الحكمة
فينوس	إلهة الجمال
باخوس	إله الخمر
هيلوس	إله الشمس
ديميتر	إلهة الربيع
بلوتو	إله الجنّ
هرقل	رسول الآلـهة

الشعراء

معروف الرصافي 1877 . 1945 : ولد الشاعر ببغداد ثمّ تلقى . بعد سنوات في المدرسة . على محمود شكري الآلوسي علوم اللغة والفقه، واشتغل متنقّلاً بين الآستانة ودمشق وبيروت وبغداد، وشارك في الحياة السياسيّة. عاش حياته فقيراً. حفلت قصائده بالدعوة إلى الحريّة وتطوير الحياة الاجتماعيّة، ومثّل شعره أسلوبيّاً وجهاً من وجوه الإحيائيّة .

بشارة الخوري 1885 . 1968 : ولد وعاش ببيروت، تفاعل لديه الشعر والصحافة والنضال في سبيل الحريّة أيّام العثمانيين والفرنسيين وعهد الاستقلال، فعبّر عن الوطن والإنسان، وبرزت ملامح رومانسيّة في أشعاره .

حليم دمّوس 1888 . 1957 : ولد ونشأ بزحلة في جبل لبنان، سافر إلى البرازيل أمداً ثمّ استقرّ في دمشق بعد الحرب العالميّة الأولى. كان مهذّب الطبع دمث الخلق، له أشعار ضمّتها كتبه: ديوان حليم دمّوس، المثالث والمثاني، رباعيّات وتأمّلات .

شفيق جبري 1897 . 1980 : ولد وعاش بدمشق تخرّج من مدرسة اللعازاريين بتعليمها الفرنسي 1913 ثمّ عمل أيّام الحكومة العربية بدمشق في المطبوعات ثم وزارة الخارجيّة مع عبد الرحمن الشهبندر 1919 . 1920، ثمّ في وزارة المعارف ومدرسة

الآداب العليا والجامعة السوريّة حيث درّس وانتخب عميداً لكلّية الآداب 1947. كان له نشاطه الأدبي والثقافي في المجمع العلمي والصحافة. جمعت أشعاره في ديوان «نوح العندليب» .

أحمد زكي أبو شادي 1892 ـ 1955: طبيب متخصّص بالتحليل الجراثيمي، وأديب شاعر له دواوين ومسرحيّات شعريّة وعدد من الكتب العلميّة، شغل مواقع في كلّية الطب، وأنشأ مجلّة «أبولو» بالقاهرة، وكان ركناً في حركة الشعر الرومانسي العربي، هاجر إلى نيويورك 1946 .

إبراهيم ناجي 1898 ـ 1953: طبيب وشاعر عُدّ في تيار الشعر الرومانسي العربي، له عدد من الدواين : وراء الغمام، وليالي القاهرة، وديوان ناجي. سجّل حضوره المعاصر بعد رحيله بسبب تلحين رياض السنباطي شعراً له بعنوان «الأطلال» وغناء أمّ كلثوم 1966 .

أحمد الصافي النجفي 1896 ـ 1977: ولد بالنجف بالعراق واستقر بدمشق 1928 . 1966، له عشرة دواوين وترجم رباعيّات الخيّام عن الفارسيّة .

جميل صدقي الزهاوي 1863 ـ 1936 : ولد وعاش ببغداد، عمل بالقضاء والتدريس، كتب عن نفسه « كنت في صباي أسمّى المجنون لحركاتي غير المألوفة »، وفي شبابي الطائش لنزعتي إلى الطرب، وفي كهولتي «الجريء» لمقاومتي الاستبداد، وفي شيخوختي «الزنديق» لمجاهرتي بآرائي الفلسفيّة. له مقالات وترجم رباعيّات الخيّام وله شعر كثير .

علي الناصر1896 . 1970: طبيب شاعر، صاحب نزعة تجديديّة في القصيدة بناءً وأفق تجربة، تراوح بين حداثة متطلّبة وعودة إلى البحور. شارك أورخان ميسّر في كتاب سريال 1947 .

شبلي الملاّط 1876 . 1961: شاعر ولد في بعبدا (بيروت)، عايش العهد العثماني والانتداب الفرنسي ثمّ الاستقلال. عمل بالإدارة والصحافة. له ديوان شعر، وله روايات، وترجم عن الفرنسيّة بعض الأعمال .

علي محمود طه 1902 . 1949: درس الهندسة التطبيقيّة وعمل بها، وكان له نزوع ثقافيّ فتح آفاقاً شعريّة رومانسيّة. له عدد من الدواوين ومسرحيّة شعريّة. كان مهتمّاً بالقضايا العربيّة في توازٍ مع اتجاهه الذاتي في الرومنسيّة. شهَرَتْه القصائد التي لحّنها وأدّاها محمّد عبد الوهاب: «الجندول، وكليوبترا، وفلسطين» 1941 . 1948 بأسلوب تجديدي .

عبّاس محمود العقّاد 1889 . 1964: شاعر وناقد ومفكّر وصحفي عمل بالسياسة، ويعدّ نموذجاً للعصامية في الحياة والعلم والأدب. لم يتجاوز تحصيله المدرسيّ الابتدائيّة وتمكّن من ناصية العلوم والأدب أتقن الإنكليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة. له عدد من الدواوين ومؤلّفات فكريّة ونقديّة وسير عرفت بـ «العبقريّات». اشترك مع إبراهيم عبد القادر المازني في إصدار «الديوان» الذي توجّه إلى حداثة تتجاوز التقليديّة كما بدت لهما في الشعر الإحيائي ممثّلاً في شعر أحمد شوقي .

مَحْكمةُ الشُّعراء

رواية تمثيليّة ذات أربعة فصول. أخصّ مجلّة «الحديث» الغرّاء بالفصل الثالث منها وهو الفصل التمهيدي للمحاكمة .

(عمر أبو ريشة)

الفصل الثالث

عين المكان [في الفصل السابق]

أبولون إله الشعر، منيرفا إلهة الحكمة، فينوس إلهة الجمال على كراسيّهم. أمّا كراسيّ باخوس إله الخمر وهيلوس إله الشمس، ودميتر إلهة الربيع، وبلوتو إله الجن فإنّها تبقى غير مشغولة. هرقل رسول الآلهة واقف بالباب .

الشعراء الحاضرون [لحظة فتح الستار]

معروف الرّصافي، بشارة الخوري، [حليم] دمّوس، شفيق جبري، [أحمد] زكي أبو شادي، إبراهيم ناجي، أحمد الصّافي [النجفي] .

أبولون : معروفُ أين جميلٌ ؟

معروف :

جاء صحبتَنا لكنّه هرمٌ يمشي على مهل

سَلّت عليه يدُ العلاّت صارمَها وغادرتْه يعاني فادحَ الشَّللِ

أبولون : أين مقرُّ النّاصرِ؟

شفيق جبري :

تبّاً له من شاعرٍ مِن شاتمٍ وفاجرٍ

وصاخبٍ وثائرِ

وباخسٍ وناكرٍ قدرَ البيان السّاحرِ

منيرفا : أحبُّ أن أنظرَ هذا الشّاعرا

أبولون : هرقلُ سِرْ واجلبْ إليَّ النّاصرا

هرقل : كما تشاء «يذهب»

شفيق : شاعرٌ معربدٌ معكِّرٌ لصفونا منكِّدُ

أبولون :

أيا شفيقُ ما الذي تُتَمتمُ وما الذي يا ليت شِعري تَكتُمُ

شفيق :

إنّا لنأبى أنْ نرى ما بيننا مَنْ كان دوماً ساعياً لشَيننا

وهازئاً بالبحتريّ الأكبرِ وشاتماً للمتنبّي العبقري

ناجي :

شفيقُ أكثرتَ طعناً في شاعرٍ ألمعيّ

أكلُّ من شذَّ عنكم ترَونه كالغَبيّ

أبو شادي :

شفيقُ لقد بعثتَ القول نُكرا ومِلتَ عن السّراطِ المستقيمِ

(فكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفتُه من الفهم السّقيمِ)

شفيق : أتطعنُني بفهمي ؟

دمّوس :

ليس هذا من الآدابِ والخلُق الكريمِ

أبو شادي : ألم تسمعْ مقالتَه افتراءً؟

أبولون : كفى يا صاحبَ الذّوق السّليمِ

«يدخل هرقل»

ماذا وراءكَ يا هرقلُ ؟

هرقل :

لقد أبى	أن يأتي النّاصر هذا المحفلا
أبصرتُه في حجرةٍ مهجورةٍ	مترنّحاً ما بين كاساتِ الطِلا
يشدو بصوتٍ ما سمعتُ شبيهَه	لو مسَّ أذنَ المستميتِ لأجفلا
فؤادي هوّةٌ فيها	تساقطُ غرُّ أحلامي
تتابعُ في تساقطِها	تتابعَ سودِ أيّامي
إذا ما الليلُ أسلَمني	لأكداري وآلامي
أُسلّي نفسيَ الحرّى	بمنظر طيفِها الدّامي
فدنوتُ منه وقد بسطتُ إليه ما	حمّلتَني لكنْ أبى أن يفعلا

أبولون (غاضباً) :

جئني به جئني به	في صَحوهِ أو شُربهِ

«يذهب هرقل»

أمعروفُ هذا شعرُ من نَدّدوا به

معروف : «ألا إنّ هذا الشّعرَ من أجمل الشّعرِ»

شفيق :

معروفُ أضحى مادحاً	وهاتفاً بالنّاصرِ

دمّوس :

يظنّه ذا طلعةٍ	فتّانةٍ للنّاظرِ !!!

معروف :

ويلٌ لكم مِن معشرٍ مدنَّسِ الخواطرِ

بشارة الخوري :

معروفُ لا تفكّرِ بقولِ غرٍّ مفتري

دمّوس : اسمعْ أخي بشارةُ

شفيق : كيف علينا يجتري

أبولون :

لا تَغضبوا فأمرُكمْ يحتاج للتَّبصّرِ

فينوس :

كلٌّ له طبائعٌ غريبةُ التّصوّرِ!!!

«ضجّة من الخارج»

صوت : تقدّم !!

صوت آخر : حنانَكَ دعني

صوت : احتسبْ فما في ضجيجكَ من فائدَه

«يدخل هرقل قائداً علي الناصر من أذنه»

النّاصر :

«كفرتُ بأقدسِ ما في الوجو دِ ولو أنَّ فيه رضا الوالدَهْ »

أبولون :

كفاكَ اجتراءً فعُدْ للهدو ءِ ولاتُبق في النّفس بعضَالغضبْ

وقِفْ يا هرقلُ وراء الفتى فقد يتعدّى حدودَ الأدبْ

«يمشي النّاصر إلى مكانه وهرقل وراءه»

معروف (لنفسه) :

أمعروفُ هذا شعرُ من ندّدوا به   ألا إنّ هذا الشّعرَ من أقبح الشّ

«يجلس الناصر وقبل جلوسه يرمي بإصبعه نظارات الصّافي»

الصّافي : أبولو ... أرى الكونَ في ظلمةٍ   وألمسُ في مقلتيّ اللّهبْ

النّاصر : حذارِ، حذارِ، «يناوله النظارات»

الصّافي : إلهَ القريض لقد زال عنّيَ كلُّ العطبْ

أبولون :

إلهي جَوَبتير هبْ أحمدا   من العقلِ مقدار ما يطلب

«يدخل الزهاوي وهو ينشد»

الزّهاوي :

إذا الشعرُ لم يهزُزْكَ عند سماعه   «فليس جديراً أن يُقالَ له شِعرُ»

النّاصر :

زئيرُ اللّبوةِ الرّعناءِ شعر   صليلُ الصّارم الهنديّ شعرُ

وعصفُ الرّيح في الغاباتِ شعرُ   وما هزَّ القلوبَ فذاك شعرُ

الزّهاوي :

موازينٌ مُضَعضعةٌ   لقد زانوا بها الشّعرا

فما رفعوا له وزناً   ولا عَرَفوا له قدرا

دعاةُ الشّعر قد شنّوا   علينا غارةً كبرى

فما نالوا سوى فشلٍ   يتوّج رأسَهم نُكرا

فعلّمناهمُ الإذعانَ*   والإحجامَ و الفرّا

النّاصر : سخافةُ منطقٍ !!

الزّهاوي : مهلاً

النّاصر : أعندكَ فكرةٌ أخرى؟

زعمتَ النّصر مقروناً بطَلعة وجهكَ الغَرّا

ورأسِ أبيكَ ما بُلّغتَ* في أحلامكَ النّصرا

أبولون : علي صمتاً

هرقل : علي مهلاً لقد أفقدتَني الصّبرا

منيرفا : أهذا فيلسوفُ الشّعر . آبولو..

أبولون : أجلْ هذا

شفيق :

رياضُ الشّام قد حسدَتْ عليهِ فقرَ بغذاذا

النّاصر :

يقطّعُ سيفُ حكمتهِ من القرّاءِ أفلاذا

منيرفا :

لا يهزّنكَ أن تغاضى حسودٌ أو تلظّت في مقلتيه أذاةُ

أيُّها الفيلسوفُ هاتِ من الحكمة شعراً تشعّ فيه الحياةُ

الزّهاوي :

«يطفئ الموت ما تضيء الحياةُ ووراء انطفائهِ ظلماتُ

إنّ للنّازلين في القبر نوماً تنتهي في سكونه الحركاتُ

ربّ مالٍ يفنى ذووه ويبقى وبناءٍ يبقى وتفنى البناةُ

في المنايا وهنّ رزْءُ البرايا تتساوى الرِّعاع والسّرَواتُ

منهلُ الموت واحدٌ وإليهِ طرُق الواردين مختلفات »

معروف :

مَن لم يمتْ بالسيف ماتَ بغيرهِ تنوّعت الأسبابُ والموتُ واحدُ

منيرفا بتهكّم :

جميلُ يا جميلُ ما أعمقَ هذي الفلسفَهْ !!!

الزّهاوي :

بضاعتي في مثلها كثيرةٌ مختلفَهْ !

«تناسيتَ يا إنسانُ أنّك ميّتٌ وأنت على[1] الأموات ترفع أبياتا

تناسلتَ من أمواتها ثمّ رُمتَ أن تعيش بها عيشَ الخلود وهيهاتَ

فتمشي على الأموات في كلّ خطوةٍ وتأكلُ أمواتاً وتلبَس أمواتا»

منيرفا :

جميلُ يا جميلُ ما أعمقَ هذي الفلسفَهْ

الزهاوي :

بضاعتي في مثلها كثيرةٌ مختلفَهْ

«ما في قُوى الإنسان أو تركيبهِ شيءٌ إلى غير الطّبيعة يَنتمي

كلُّ الذي يرجو المؤمّل ممكنٌ إلاّ رجوعَ شبابه المتصرّمِ

يأتي الشّبابُ ويأتي بعده زمنٌ هو الكهولُ ويأتي بعده الهرمُ

وبعدَ ذلك موتٌ يستريحُ بهِ من الحياةِ الذي قد مضّهُ الألمُ

---

(1) وضعنا (على) بدلاً من (في) ليستقيم الوزن

منيرفا :

جميلُ يا جميلُ ما　　　أعمقَ هذي الفلسفَهْ !!!

الزهاوي :

بضاعتي في مثلها　　　كثيرةٌ مختلفَهْ !

إنّما النّاسُ إن نظرتَ إليهم　　　آكلٌ في الحياةِ أو مأكولُ

هذه منذ كانت النّاسُ ناساً　　　سنّةُ الله ما لها التّبديلُ»

«الموتُ يهزأ بالحياةِ　　　والقبرُ يعبث بالرّفاتِ

ماذا يضرُّ المرءَ من　　　نهش البِلى بعد المماتِ

والمرءُ ليس يحسّ بعد　　　مماته بالحادثاتِ　　　»!!

(الجميع يضحكون)

منيرفا :

لا تضحكوا إذ كلُّ ما　　　قال الزّهاوي فلسفَهْ

ناجي : فلسفةٌ ما حاز رسْطاليسُ عنها معرفَهْ

أبولون(لمنيرفا) :

أرأيتِ كيف الفيلسو　　　ف بكلّ خافيةٍ عريفُ ؟　　　!

الزّهاوي :

«الفيلسوفُ الفيلسوفُ　　　هو من تربّيه الصّروفُ

هو من سمتْ فيه الحياةُ*　　　فلا يخافُ ولا يخيفُ

هو من أبى أن تَشْمَخِرّ *　　　عليه للْكبْر الأنوفُ

فإذا مضى شيءٌ أحبّ * فما عليه هو الأسيفُ

يمشي وحيداً لا يرا فقه عشيرٌ أو أليفُ

يطأ الرّصيفَ بخفّةٍ فيكاد يخفيه الرّصيفُ »

ناجي :

وعلامَ قد ذُكِر «الرّصيف» وما به لفظٌ شريفُ؟

كم ذا يُعاب الشّعرُ إن أمسى به لفظٌ «مخيفُ»

النّاصر (مازحاً) :

إنّ الرّويّ رأى الرّصيفَ* فهزّهُ وجدٌ عنيفُ

فتعانقا فتآلفا أفهمتَ يا هذا السّخيفُ

أبولون :

هذي خلالكَ قد أجدتَ* بوصفها يا فيلسوفُ

الزّهاوي :

شكراً إليك وكلّ شكرٍ لأبلّون طفيفُ !

أبو شادي :

إنّي لأحفظُ قطعةً في الفيلسوف إلى عمرْ

شفيق :

ومتى دعيُّ الشّعر هذا يا أبا شادي شعَرْ ؟ !

أبو شادي : هل تسمعوني؟

شفيق : لا!

أبولون : عسى نسمعُ معنىً مبتَكَر !

هيّا أبا شادي

أبو شادي : اسْمعوا شعرَ الفتى

شفيق : فيما هذَرْ

«أبو شادي ينشد أبيات عمر» [أبو ريشة]

أرضعتْه الطبيعةُ الفتّانَهْ يوم أن فتّح الضّيا أجفانَهْ

ورمى الفجرُ هالةً فوق فوديـه* بشتّى أضوائه مزدانَهْ

وضميرُ الظّلماءِ فضّ عليه ختمَ سرٍّ لم يستطع كتمانَهْ

وحباه الخيالُ من أفْقه الرّحـ ـب جناحين ذلّلا ميدانَهْ

وغفا الوحيُ لاثماً شفتيه ولسانُ الإلهام يَهدي لسانَهْ

فإذا الكونُ كلّه نصبَ عينيـه* تجلّت أسرارُه عُريانَهْ

هكذا الفيلسوفُ يَنْشأ والكونُ* حواليه أعينٌ يقظانَهْ

[نسمةٌ من هدايةٍ نفح الله بها النّاس فجاءت معطارة ريّانَهْ] [1]

الزّهاوي :

هذا خيالٌ مضحكٌ خلوٌ من الحقائق

النّاصر :

هذا خيالُ شاعرٍ مبرّزٍ وصادق

أبولون : لا تعبأنّ بوزنه **(فالفرق مثل الصّبح ظاهر!!)**

---

(1) هكذا ورد في نص المسرحية، وفي ديوان عمر جاء البيت من غير كلمة (الناس).

الشّعر قد أرسلْتَه (مثلاً من الأمثال سائر...)

ذو العقلِ يقرؤه فيغدو   شاردَ الأفكار حائرْ

ناجي :

أرأيتَ كيف غدا أبو   لو من نظيمِ الشّيخ ساخرْ !!

أبو شادي :

ومن المهازلِ أن ترى   في الشّيخ سيماءَ التفاخرْ

الزّهاوي (غاضباً):

يا مجدّاً في لحاقي   لستَ تسطيع المسيرا

«ليس يسطيعُ إذا جدّ*   ابنُ آوى أن يطيرا

قبلَ أن يملكَ ريشاً*   كافياً أو يستعيرا!

منيرفا : إنّ الزّهاوي يرسلُ الحكمةَ شعراً مرتجَلْ

الزّهاوي :

بل إنّني قد صغتُها   قدماً فسارتْ كالمثَلْ

منيرفا :

إذا الحكماءُ ذكرُهمُ تلاشى   فذكرُك لا يزولُ و لا يزولُ

الزّهاوي :

لقد طوّقتِ جيدي بامتنانٍ   فما أنا عالمٌ ماذا أقولُ

الرّصافي : أتسمعُ كيف تمدحُه؟

دمّوس : تمهّلْ   سيأتي دورُنا عمّا قليلُ

الناصر : أمدحاً ما سمعتَ؟

هرقل : صهٍ «يضرب على كتفه»

النّاصر : لَعمري أرى جثثاً وليس لها عقولُ

هرقل : نصحتُكَ يا عليّ فخابَ ظنّي

«يُخرج منديلاً ويكمّمه»

الناصر : تكمّمني؟!

هرقل : أذلك مستحيلُ؟ !

«الجميع يضحكون»

الزّهاوي :

كذاك يُعاقَب الثرثارُ عدلاً ويَشقى مَنْ بمنطقه فضولُ

الصّافي :

حذارِ فإنّ في عينيه ناراً إذا ما ثار ثائرُها تهولُ

أبولون :

أيّها الفيلسوفُ هل قلتَ شعراً فيه وصفٌ لما يراه الرّائي

الزّهاوي :

قلت شعراً عن السّماءِ وإنّي لعليم بكلّ ما في السّماءِ

ناجي : فلكيٌّ وشاعرٌ وحكيمٌ

أبو شادي : تلك إحدى عجائبِ الأحياءِ

أبولون : هاتِ يا شاعرَ النّجومِ

الزّهاوي : لك الأمرُ «يتنحنح ويسعل ويستعدُّ»

أبولون : أصيخوا يا معشرَ الشّعراءِ

الزّهاوي :

لهفَ نفسي على «بناتٍ» حسانٍ أيّ «نعش» حملْنَه في العراءِ

فلقد بات «أرنبُ» الجوّ يرنو من بعيدٍ «للحيّة» الرّقطاءِ

وتمنّى «العيّوق» أن يسلم «الجد; من «الذئب» ناصتاً «للعُواءِ»

عافَ للذعْرِ حين أبصر «فهداً» «فرسُ» الجوّ «سنبلُ» الخضراءِ

يخطف «الثّعلبُ» «الدّجاجةَ» لولا «الكلبُ» قد بات حارساً بالدّهاءِ

قد أصاب «الرّامي» وقد سَدّد «الد هِمَ» من «القوس» «مَنْكِبَ الجو

خفقَ «القلبُ» للعناق بليلٍ وأطال «الجاثي» زمانَ الثُّواءِ

«علي النّاصر يرفع المنديل بغضب»

النّاصر :

يا أبولو بجاهِ مجدك أوضحْ لُغزَ هذي القصيدة العصماءِ

«هرقل يهمّ بتكميم علي الناصر»

أبولون : لا تكمّمْه يا هرقلُ

هرقل : كما شئتَ

النّاصر : حناناً أربيتَ في إيذائي

أبولون (بخجلٍ) :

يا زهاوي أعدْ قصيدَك إنّي لم أُعره من دقّة الإصغاءِ

الزّهاوي :

ليس يحتاجُ للإعادة مادام جليّاً كالشُّعلة الوضّاءِ

فهو أسماءُ أنجمٍ زاهراتٍ وبروجٍ عُلْويَّة اللألاءِ

أبولون : هل فهمتَ المُرادَ؟

النّاصر :

فهمَ غلامٍ بات يقرا تمائمَ الشّمطاءِ

أبولون :

أَتمِم القولَ يا جميلُ ولكن عدِّ عن ذكرِ تلكمُ الأسماءِ

الزّهاوي :

«إنّ للشمسِ موكباً فيه تمشي نحو نجمٍ ضمنَ الثريّا نائي

وأرى في اصطدامِها بسواها وهو الزّعمُ أكبرَ الأرزاءِ

حركاتُ «الألكترونات» ضمن الجسمِ تنفي الأثيرَ في الأثناءِ

فيسيلُ الأثير ردّاً لما اختلّ به مِن توازنٍ في البناءِ

أبولون : خارقُ الفكر يا جميلُ

الزّهاوي : ورأيٌ فوق كلّ الأفكار والآراءِ

شفيق :

إنّه طافَ في هياكلِ علمٍ وفنونٍ وحكمةٍ ورشاد

معروف : «إنّ للعلمِ دولةً خضعتْ دون علاها عوالمُ الأضدادِ»

أنصتوا لي أنشدْكمُ خيرَ ما قلتُ عن العلمِ

أبولون : اِسمعوا باتئادِ

معروف :

«أيُّها النّاسُ إنّ ذا العصرَ عصرُ العلم والجِدّ والعلا والجهادِ

عصرُ حُكم البخارِ والكهربائيّةِ		والماكناتِ والمنطادِ

نحن في أرضنا على منطادٍ		جائلٍ في شواسعِ الأبعادِ

أيُّها الأرضُ سرتِ سيرك مثْنى		ذا نتاجين في زمانٍ أحادِ

فيك دفعٌ وفيك يا أرضُ جذبٌ		لك ذا سائقٌ وذلكَ حادي

ناجي : أدروساً في الفيزياءِ غدا الشّعرُ؟

معروف : ولِمْ لا يا جاهلاً في انتقادي

النّاصر[باتجاه ناجي]:

لكَ منّي على انتقادكَ هذا		قبلةَ الودّ من صميمِ فؤادي

«يهمّ بتقبيله فيوقفه هرقل»

دمّوس :

ناجٍ تباعدْ ناحيَهْ		إنّ عليّاً داهيَهْ

الصّافي :

انظرْ إليه إنّ في		عينيه ناراً حاميَهْ

شفيق :

أسمع أبولو ما نظمْتَ		من المآسي يا جميلُ

أبولون : قل يا جميلُ فمثلُ شعرِكَ في الورى نزرٌ قليلُ!!

ناجي : ماذا يقولُ ؟عليٌّ ؟

النّاصر: لا أعلم ما الشّيخُ يقول

الزّهاوي :

لي عند وصف الحادثات		وبؤسها الباعُ الطويلُ

شفيق :

أسمعهمُ ما قلتهُ في حادث لأرمله !

الزّهاوي :

«ألا إنّما هذا الذي لكَ أنقلُ له مثلما أرويه أصلٌ مؤصَّلُ

قضى أحدُالضُّبّاط في الحربنحبَه وكان إذا دارت رحى الحرب يبسُلُ

وخلّف زوجاً قلبُها رهْنُ حبِّهِ وكان له قلبٌ بها متشغّلُ

تروحُ إلى دار الحكومةِ تبتغي لها راتباً مستأخِراً ليس يحْصلُ

ريالان بعد الزّوج قد رُتّبا لها وذلك نزرٌ ليس بالعيش يكفُلُ

النّاصر : خبرٌ محلّيٌّ ...

أبولون : وللصحُفِ الكبيرة يُرْسَلُ !!

أبو شادي :

ذي قدرةٌ ومهارةٌ وجميلُ فيها الأوّلُ

معروف :

أخطأتَ فالأخبارُ في شعري أتمُّ وأكملُ

إنّي وصفتُ «ولادة الرّازي» بشعرٍ يفضُلُ

تولّدُ عامِ الأربعين الذي انقضى لثالثِ قرنٍ ذي مآثرَ أزوالِ

إلى زكريا ينتمي إنّه له أبٌ تاجرٌ في الرّيّ صاحبُ أموالِ

على حينَ كانت بلْدةُ الرّيّ غادةً إلى العلم تعطو جيدَها غير معطا

بها جلٌّ درسِ القومِ طبٌّ وحكمةٌ   وفلسفةٌ فيها لهم أيُّ إيغالِ
وقد أكملوا الطبَّ المفيدَ قراءةً   على الطّبريّ الحَبرِ أحسنَ إكمالِ

أبولون : كلا الاِثنين وصّافٌ

النّاصر : ولكن شهابُ الدّين..

هرقل (مقاطعاً) : ويكَ ألا وجومُ؟!

معروف : ولي شِعرٌ رثيتُ به غلاماً

الخوري (بهمسٍ) : مطهَّرةٌ مآزرُه كريمُ

معروف :

ولي شعرٌ رثيتُ به غلاماً   مطهَّرةٍ مآزرُه كريمُ
«فقلتُ وقد نأى عنّي نعيمٌ   سأندُبُه ولو سخِط العمومُ
ولم يقتلْه إبراهيمُ فيما   أرى بل إنّ قاتلَه سليمُ
ولمّا أنْ ثوى ناديتُ أرّخ   ثوى قتلاً بلا مهلٍ نعيمُ »!

أبولون «للرّصافي»: أحسنتَ أحسنت قولاً
«للزّهاوي» : وأنت أحسنت قولا

الزّهاوي (بحماسة):

اسمع إذن لي شعراً   للعبقريّة يُجْلَى
«لقد كان في بغدادَ للشؤمِ يأمرُ   على فرقةٍ مِن فَيْلَق التُركِ جعفرُ
وكان له زوجٌ و كان ركونُهُ   إليها كثيراً فهْي تنهَى وتأمرُ
تُسَمّى زليخا وهْي شمطاءُ فظّةٌ   من النّاس طرّاً بالقساوة تُذْكَرُ

وكان لهُ منها فتاةٌ جميلةٌ   قد اشتُهِرَت واسمُ الجميلة «دِلْبر»

مهفهفةٌ رودٌ كأنَّ قَوامها   قضيبٌ من الليمون غضٌّ منوّر»

«الجميع يضحكون حتّى أبولون»

الزّهاوي :

معروفُ إنّي ألمس الهزءَ بهذا المجمعِ

حتّى أبولو هازئاً وفي الثّناء يدَّعي

معروف:

خيرٌ لنا ألاّ نفوه بعده بمقطعِ

انظر إلى الخوري يقهقه كاد أن يغمى عليه

الخوري :

مهفهفةٌ رودٌ كأن قوامَها   قضيبٌ من الليمون غضٌّ منوّر

أفي مثلِ هذا تُوصَف الغيدُ إنّه   لوصفٌ من الإبداعِ والذّوق ينفرُ

فينوس : وهل قلتَ خيراً منهُ ؟

الخوري : قلتُ

فينوس : فهاتهِ

الخوري : إليكِ فإنّ الشّيءَ بالشّيء يُذْكَرُ

المها أهدتْ إليها المقلتينْ   والظّبا أهدت إليها العُنُقا

فهما في الحُسن أبهى حلّيتينْ   للعذارى جلَّ مَنْ قد خلَقا

النّاصر :

أهذا كلّ ما أوحى إليك الحسنُ يا خوري

«يشير إلى فينوس»

فينوس (بخجل) :

ضع عويناتك ضعها وانظرن للكائناتِ [1]

«علي الناصر يبتسم ويحكّ رقبته»

ناجي :

ماذا اعتراكَ فقد رأيتُ الأنسَ من عينيكِ ينشرْ

النّاصر :

في رقبتي عرقٌ إذا ما راق لي القولُ توتّرْ

فينوسُ في شعري تخا طِب من تشاء

شفيق جبري : ألا تبصرْ

«يخرج القاموس من جيبه»

هذا هو القاموسُ هل فيه عويناتُك تُذكَرْ؟

النّاصر : أريد أن أحرقَ...

فينوس :

مهلاً يا عليّ فسيبويهِ حاضرٌ في المحفلِ

(1) من شعر: علي الناصر

أبولون(غاضباً) :

كفى يا أيُّها الشّعراءُ لغواً فقد أبصرتُ فيكم ما يريبُ

فما صنتُم إلى الآداب حقّاً فكلٌّ في تصرفه غريبُ

غداً تقفون من حكمي حيارَى (وإنّ غداً لناظره قريبُ)

- **ملاحظة :** «الأبيات ضمن قوسين هي من نظم المتكلّم بدون تحريف أو انتحال، والتي بين قوس واحد هي من نظم الأقدمين».

الفصل الرابع

عين المكان [في الفصل السابق]: كراسيّ الآلهة غير مشغولة والمكان خالٍ من الشّعراء. يدخل شِبْلي المَلاّط ومعه ثلاثة من رجاله .

شِبْلي الملاّط :

هنا شعراءُ العرب يا صحبُ تلتقي

ليُعرفَ أيٌّ منهم الشّاعرُ الفحلُ

فإما امتطيتُ المنبرَ الحرَّ صفّقوا

وصيحوا ليحيا شاعرُ المشرق الشِّبلُ

فيَدوي هتافُ الحمد من كلِّ جانبٍ

فيأسِرَ سمعَ المرء منطقيَ الفصلُ

وما الجمعُ إلاّ كالشّياه فإن عدَتْ

إلى جهةٍ شاةٌ تتبّعَها الكلُّ

مكانكمو هذا «يجلسون»

الجميع :

ستسمع صوتَنا يشقُّ عِنانَ الأفْق

شبلي : يا حبّذا الفعلُ

أحد رفاق شبلي: من الشّاعرُ المختالُ ضمن عباءةٍ

شبلي : هو الشّاعرُ الصافي

رفيق آخر : أيحظى بمقصَدِ

أتخشاهُ؟

شبلي :

هل أخشى قصيداً مُنمّقاً جميلاً ولكنْ ربُّه شرُّ مُنشدِ ؟

ولي مثلما تدرون صوتٌ مرخَّمٌ أحسِّن فيه كلّ معنىً مُردّدِ

الصّافي (ممتعضاً):

«وكم وارثٍ في الشّعر عرشاً لسالفٍ

وبانٍ لقصرٍ في بناهُ مُقلّدِ

وأسكنُ كوخاً ما به أيُّ زخرفٍ

ولكنّه كوخٌ أقامتْه لي يدي»

أحد رفاق شبلي : أتسمعُ ما الصّافي يقول؟

شبلي (متبسّماً) : ألا ترى جمالَ المعاني نهبَ إلقائه الرّدي

(يدخل طه المهندس مأخوذاً بجمال المكان) [علي محمود طه]

طه المهندس :

إذا البصرُ انسابَ في موضعٍ فلا يتزحزحُ عنه البصرْ

تكاد تحييكَ فيه الدُّمى وينطق بالبِشْر ثغرُ الحَجَرْ

أحد رفاق شبلي : أهذا المهندسُ؟

شبلي : هذا الذي تطفّل للشِّعر حتّى شعَرْ

الصّافي :

تعال فتى الشّعر إنّا هنا غريبان عن مثل هذي الصّورْ

طه المهندس : ومَن هو هذا؟

«يشير إلى شبلي»

الصّافي : مثيرُ الغبارِ

شبلي (غاضباً) : وكبشُ النِّطاح إذا ما ازبأرّ

الصّافي :

(سوف ترى إذا انجلى الغبارُ أفرسٌ تحتك أم حمارُ)

شبلي (بغضب) :

ألجِم الضّحكَ إنّ ثورة نفسي إن تلظّتْ فكلُّها أخطارُ

ليس تُطفي أوارَها نهَلاتٌ من دماءٍ يُريقها البتّارُ !

«يتقدّم من الصّافي بغضب»

الصّافي : أنقذوني!

طه (متوسّطاً) : يا شاعرَ الأرز مهلاً

شبلي : ابتعدْ ويكَ أيّها الثّرثارُ

«يدفع طه، يركضُ الصّافي»

طه (بذهول) :

إنّه اللهُ بارئُ الخلق طرّاً كلُّ آثارِ فعله أسرارُ !!

«يدخل الناصر متمايلاً ثملاً»

الصّافي : يا علي

النّاصر : مَن ذا ينادي؟

الصّافي : أحمدُ الصّافي بعينه

النّاصر :

أحمدُ الصّافي؟ و ماذا خطبُه ما أصلُ حزنِهْ

طه :

كاد أن يسقيه شبلي عنوةً أكؤسَ حَيْنِهْ

النّاصر : شبلي؟

شبلي : أجل شبلي

الصّافي : عليُّ حذارِ من صلٍّ مقاومْ !

الناصر :

دعني فأنيابي بها نهَمٌ إلى مضغِ الأراقمْ

أحد رفاق شبلي : شبلي ابتعدْ !

شبلي (خائفاً) : خيراً أشرتَ عليّ إنَّ المرء ناقمْ

«شبلي يبتعد»

الصّافي (متهكّماً):

إنّ الهجومَ بغير مو ضعهِ لَمِنْ حُمق المهاجِمْ

النّاصر : شبلي! أجئت مناوئاً؟

شبلي : بل جئتُ يا روحي مسالِمْ

في جعبتي شعرٌ سألقيه على سَمْع الأكارمْ

رفيق شبلي لزميله: هيّا استعدْ

شبلي هامساً : تريّثوا حتّى توافينا الحواكمْ ..

النّاصر :

سرٌّ لعمري أنت يا شبلي وأغمضُ من طلاسمْ

عجَبٌ أعندكَ غيرُ أشعار النّوادب في المآتمْ ؟

بدّدتَ عمرَكَ كلَّهُ مترقّباً موتَ الأعاظمْ

حتّى إذا ما ماتَ واحدُهم لطمتَ مع اللّواطمْ

الشّعرُ ... ويحَ الشّعر كيف انقضّ من تلك العوالمْ

حتّى قصصتُمُ من جوا نبه الخوافي والقوادمْ

الصّافي : أسمعتَ يا شبلي؟

«شبلي يطرق»

طه : علامَ أرى الفتى المغوار واجمْ

الصّافي :

ما تفعل الذّؤبانُ إمّا* ضجّ تزآر الضّياغمْ ؟

«النّاصر يستند على عمود و ينشد ثملاً»

النّاصر : «وجدُ روحي إليكَ يا خمرُ يعلو»

شبلي (لنفسه) : إنّ إلقاءه كئيبٌ بطيء...

النّاصر (يتمّ) :

«خطَرَاتُ الإلهام منكَ توافي وبناتُ الأحلام منكَ تجيءُ

وفظاعاتُ كلِّ إثمٍ مَعيبٍ   رمزُها فيكَ ساذجٌ و بريءُ

وظلامُ الشّهْوات أيُّ ظلامٍ   ضمن أقداح محتسيكَ يضيء

طه للصّافي : أصغِ يا صاحِ إنّ شعراً كهذا يملأُ النّفسَ و المسامعَ بشرا

«الجميع كمن يشمّون رائحة كريمة»

النّاصر :

أتشمُّ النّسْمات حمّلها الخمْرُ   أريجاً يسيرُ في الرّوح سيرا

«يدخل باخوس إله الخمر. الجميع يقفون إجلالاً»

باخوس (مبتسماً):

تلك أنفاسيَ التي حملَتْها   نسماتٌ أفعمنَ دنياكَ سحرا؟ !

كيف ألفيتَ جرعةً سكبتْها   قبلةُ الخلد في شفاهِكِ خمرا

النّاصر :

بدّدتْ ظلمةَ الحياةِ وأبقتْ   من ملحِّ الشّهْوات ناباً وظُفرا

شبلي : أيُّ خمرٍ هذا الذي نعتوه؟

الصّافي : إنّ باخوسَ بالحقيقة أدرى

باخوس (بهدوء) :

عَصرَتْ ثديَها الطّبيعةُ فيه   وأسالتْ إلهامَها فيه شعرا

«الناصر يطرب»

باخوس للنّاصر : ما لعينيكَ تلمعانِ نشاطاً؟

النّاصر : «ضجَرُ النّفس فيك يحفِرُ قبرا»

أنت ربٌّ جلّت صفاتُكَ زدني   إنْ تعفّفتُ في عفافي كُفرا ...

(باخوس يجلس على عرشه طرباً)

شبلي (لنفسه) :

كان قولاً عربيّاً   ما به لوثةُ عُجْمَهْ

مرّ في سَمْعيَ لكن   دون أن أسطيع فَهمَهْ !!

أحدهم : ما دهى الملاّطَ؟

آخر : اِسكُتْ ثلّت الهيبةُ علمَهْ «يدخل هرقل»

هرقل : الآلهه الآلهه

« الجميع ينهضون. يدخل أبولو، منيرفا، فينوس،

يدخل مراسلو الصحف. وإبراهيم ناجي»

أبولو (بعد إمعان):

هذا الذي يدعونه   صنّاجةً فوق المنابرْ

فينوس : شبلي؟

شبلي :

أجل يا جؤذراً   ما شبلُه بين الجآذرْ !

فينوس :

لهفي عليكَ أتشتكي   ضعفاً بهاتيك البواصرْ !

انظرْ مليّاً ليس في   رأسي قرونٌ بل ضفائر

اجلسْ قريباً من عُروشِ المجدِ

شبلي : إنّي لكِ شاكرْ[1]

«يدنو الملاّط من فينوس ويجلس»

رفاق شبلي متوهّمين فليحيَ ... !

أبولو (مقاطعاً) :

من أنتم وما هذي الصغائرُ يا أصاغرْ؟

هل بينكم مَن يعرفُ الأوزانَ حتّى عُدَّ شاعرْ ؟

رفاق شبلي : كلاّ

أبولو (لهرقل) : إذن أخرجهمُ من ندوتي..

شبلي لنفسه : يا للخسائرْ ! «هرقل يطردهم»

فينوس : والآنَ ؟!

شبلي :

لُحتِ إليّ غُصناً يحملُ الرّمّانَ ناضرْ !

منيرفا (لفينوس) :

صفحاً إذا الأبصارُ يا فينوسُ خانتْها البصائرْ !!

«شبلي يطرق»

الصّافي :

انظرْ أخي طه لقد دارتْ على شبلي الدّوائرْ

فينوس (لأبولو) : مَن قربَ أحمدَ؟

أبولو : شاعرٌ طابت أغانيه السّواحرْ

(1) هكذا وردت في المسرحية.

مهلاً! سيُسمعكِ القصيدَ معطَّرَ الأبياتِ باهرْ

أبولو (منادياً) : طه!

طه : إلهَ الشّعرِ

أبولو : قمْ أنشدْ لنا ميلادَ شاعرْ

طه ينشد :

«هبطَ الأرضَ كالشُّعاع السنيّ بعصا ساحرٍ وقلبِ نبيّ

لمحةٌ من أشعّة الرّوح حلّتْ في تجاليد هيكلٍ بشريّ

ألهمتْ أصغريه من عالم * الحكمةِ والنّورِ كلَّ معنى سَرِيّ

حينما شارفتْ به أفُق الأر ض زها الكونُ بالوليد الصّبيّ

صورُ الحسن حُوَّمٌ حول مهدٍ حُفَّ بالورد والعمار الزّكيّ

وعلى ثغره يضيءُ ابتسامٌ رفَّ نوراً بأرجوانٍ نديّ

وعلى راحتيه ريحانةٌ تَندى وقيثارةٌ بلحنٍ شجيّ»

الصّافي :

(ضاربٌ في الخيال ملق عنانَهْ ملَكَ الوحيُ قلبَه ولسانَهْ)

شبلي:

ليس هذا الخيالُ غيرَ هراءٍ لم ترصّعْهُ حكمةٌ فتّانَهْ

طه (غاضباً) : ويكَ يا جاهلَ الخيالِ!

أبولو : تأدّبْ فلشبلي قصائدٌ طنّانَهْ

لستَ تدري ميزانَه الحرّ في الشّعر فحاذرْ أن تزدري ميزانَهْ

شبلي : سوف أحظى بالغارِ «يفتل شاربيه»

النّاصر للصّافي : أحمدُ قلْ لي هل تعوّدتَ من أبلّو مجانَهْ

أبولو : اتركوا الهزلَ جانباً واملؤوا النّدوة هذي رصانةً ورزانَهْ

هرقل :

لا تُغضبوا شبلي فإنّ لقاءهُ صعبٌ إذا ما انفضَّ عنهُ صَبْرُهُ

بطلٌ (كدورلدٍ)[١]

شبلي : صدقتَ وإنَّما (نُزعَتْ أظافرُه وشُدِّدَ أسرُهُ)

أبولو : درليد؟ من درليدُ ماذا أمرُه

شبلي : «بحصارِ باريسٍ تطايرَ ذكرُهُ»

وتشاغبُ الكومون تغلي قدرهُ[٢] فتقلَّد الشرفَ المبلّج صدرُهُ [٣]

وأصاب مرتبةَ الملازمِ فخرُه ولدن علا أوكاد يكملُ بدرُهُ

في الجند ألبسَه التحجَّبَ دهرهُ كُسِرت له رجلٌ فأُكبر أمرُهُ

وانهاضَ عظمٌ لم يَسَعْهم جبرُهُ...!

النّاصر (صارخاً) :

الله أكبرُ كم في الشّعرِ من عجَبِ

يا شاعرَ الأرزِ بل يا شاعرَ العربِ !

---

(١) «هو بول ديروليد Paul Deroulede الذي مدحه بهذه الخريدة» . الهامش للشاعر من أصل المسرحية.

(2) «أشياع الفوضى Communistes» . الهامش للشاعر من أصل المسرحية.

(3) «إشارة إلى نيله وسام من جوقة الشرف Legion D'honneur» . الهامش للشاعر من أصل المسرحية.

مراسل صحف : مولاي لي دعوى على الملاّطِ

أبولو : أسمَعُها بمنتهى اغتباطي!

المراسل :

قد كنتُ يا مولاي أجني الزّادا براحةٍ لأطعمَ الأولادا

أراسلُ «الجرائدَ» الكبيرَهْ بهمّةٍ جبّارةٍ قديرَهْ

فكلّما أتيتُ بالأخبار سبقني بهذه الأشعارِ !!

فَسَدَّ في وجهي سبيلَ المالِ ولم يفكّر ساعةً بحالي

أبولو : ملاّطُ لا تهدمْ بيوتَ النّاسِ !

شبلي (مبتسماً) : سمعاً و طوعاً يا شديدَ الباسِ !

المراسل : شكراً لآبلو إلهِ الشّعرِ «للملاّط»

شكراً جزيلاً للكريمِ الحرِّ

أبولو : وأيُّ ضروبٍ غير هذي تجيدُها من الشّعرِ يا ملاّطُ ؟

شبلي : ضربُ المدائحِ..

بنيتُ به مجداً رفيعاً وسُؤدداً ونلتُ به عطفَ الكرامِ الجحاجحِ

ناجي : هل المدحُ شعرٌ ؟

أبولو : إنْ يكن فيه صادقاً فشعرٌ وإلاّ

النّاصر (مقاصّاً) : فَهْو أصداءُ نابحِ

أبولو : عليَّ احترمْ هذا المقامَ !

الصّافي : ألا ترى حيالَكَ شبلي مثلَ كبشٍ مناطحِ

أبولو :

أصيخوا إلى شبلي فإنّ بشعرِهِ معانيَ لم تطرقْ خيالاتِ جامحِ

شبلي :

قلتُ أشدو بطيبِ فعلِ نجيبٍ ونجيبٌ خيرُ الرّجالِ وأحزمْ

«إن يكُ المالُ سلّماً للمعالي فنجيبٌ إذاً برأس السُّلَّمْ»

ناجي : صانكَ اللهُ يا نجيبُ !

أبولو : أتمَّ القولَ شبلي

هرقل : حذارِ أنْ تتلَعْثمْ

شبلي (يتمّ) :

«إن يَكُ الفضلُ للكريمِ وشاحاً فنجيبٌ أبو الوشاح المُنَمَنمْ

يا بنَ هذي البلادِ وهي بلادٌ أنت أدرى بما تقاسي وأعلمْ

كنْ لها يا بنَ سرسقٍ باقتصادٍ إنّما فيكَ خيرُها تَتوسّمْ

إنّ بعضَ الأمورِ تطلبُ مالاً ودماغاً ممّن عليها أقدمْ

فدماغٌ بدون مالٍ كمالٍ ليس يجدي بلا دماغٍ يَفْهَمْ»

أبولو : إنّ هذا لمنطقٌ ..

منيرفا (ساخرة) : وعليه يا أبولو من حكمةِ القولِ طلسمْ

شبلي : اسمعوا مِدحتي لمصرٍ

أبولو : أصيخوا إنّ شبلي بالشّعرِ منكمُ أكرمْ

شبلي :

«حيَّت ربابٌ وساجي الطَّرفِ مكحولِ ووجهُها بجميلِ البِشْرِ مصقولُ

وما ربابُ وقد حيّتْ مجامِلةً

النّاصر : (إلاّ أغنُّ هضيمُ الكشحِ مكحولُ)

شبلي غاضباً :

وما ربابُ وقد حيّتْ مجامِلةً إلاّ صبا الرّوضِ تَغْشاهُ الأظاليلُ

فينوس : هل هذه مصرُ ؟ !

شبلي : لا ! [هذي] مقدّمةٌ لا بدّ منها لكي تحلو الأقاويلُ!!

(يتمّ) :

فرعاءُ ترفُلُ في ضافٍ وأعجَبُها دمٌ لدى جبروتِ الحُسنِ مَطلولُ

هيهاتَ أسلو هوىً منها يُؤرّقني لولا معاهدُ وادي النّيلِ والنّيلُ» !!

الجميع : براعةُ التخلّصِ

باخوس (كمن يفيقُ):بلاهةُ التملّصِ !

ناجي :

لكنّه مقلّدُ البوالي في الفكر والأسلوب والأقوالِ

النّاصر : (كان الغرابُ في الزّمانِ الخالي يمشي على رجليهِ باعتدالِ)

شبلي (غاضباً) : وقعتَ يا عليُّ في الخبالِ

النّاصر : خسئتَ يا أضحوكةَ الرّجالِ

من أنتَ يا مخاطباً أمثالي؟

شبلي بحماسة :

«صنّاجةٌ في الأرزِ قد رقصتْ له حورُ الجِنانِ و صفّقتْ أحبارُه

ما أنَّ أَنَّتَهُ سليمانٌ ولا   داوودُ حنّ حنيَنَهُ مزمارُهْ

قد شاد في الشّهباءِ حصناً عالياً   حرمٌ على مَنْ رامَهُ أسوارُهْ »

الصّافي (بتهكّم) :

قد قال صاحبُكم أنْ شاد في حلبٍ   سوراً من الشّعر صلباً ليس يُقتَحَم

النّاصر :

تاللهِ ليس له عند الفنون يدٌ   إنّ الفنونَ على أمثالهِ حُرُمُ!!

الصّافي (متشفّياً) :

حلّق وخلّ من الملاّطِ أجنِحَةً   مقصوصةَ الرّيش لا عزمٌ ولا هممُ

ولا تبالِ وإنْ سُلّتْ أظافرُه   للطّعنِ منكَ فما في طعنه ألمُ

ماذا على البلبلِ الغرّيد إنْ غضبَتْ   من شَدْوِهِ البومُ أو أزرتْ به الرَّخَمُ

شبلي : هذا دعاءُ مريضِ العقل

النّاصر(ثائراً) : ويلكَ يا شبلي!

أبولو : هرَقلُ دَع الضوضاءَ تنحسمُ

«هرقل يبعد النّاصر عن شبلي»

باخوس : ماذا ؟ أ نشوةُ خمرٍ فيك ثائرةٌ ؟

هرقل : بل جمرةٌ في هشيمِ الغيظ تَضطرمُ

أبولو :

شبلي! علي! صافي! دعوا   هذي اللجاجةَ والخصامْ

مَن منكمُ يشدو لنا   شعراً يسيلُ به الغرامْ ؟

ناجي (ينشد) :

«متى يرقُّ الحظُّ يا قاسي ويلتقي المنسيُّ والنّاسي

متى وهل [لي] حيلةٌ في متى وفي خيالاتِ وأحداسِ [١]

هدّ قراري جريُها في دمي وهمسُها في كِبْر أنفاسي »!

أبولو : عذبٌ لعمري شعرُهُ !

فينوس : ريّانُ تغمرُهُ النّعومَهْ

شبلي (مخمّساً) :

لي مثلُه شعرٌ أرقُّ من المداماتِ الكريمَهْ

«باخوس يخرج من الباب الخلفي مقهقهاً»

شبلي :

يا خجلةَ البانِ ووردِ الضّحى من ظبيةِ الوادي ومن أمِّها [٢]

ما كان أشهى نظرةً منهما وإنْ بكى المجروحُ من سهمها

فينوس (مقاطعة):

ما أرى الشّعرَ غيرَ رؤى الرّوحِ تجلّتْ في مُحْكِم الأوزانِ [٣]

بعضُها ضاحكٌ وبعضٌ عبوسٌ في سماءِ الأفراحِ والأحزانِ

لستَ تعلو عن ذكر ظبيٍ وبانِ أيُّ حسنٍ في الظّبي أو في البانِ

---

(1) أضفنا (لي) للدلالة والوزن.

(2) في نص المسرحية: الوداد.

(3) هكذا ورد في نص المسرحية.

«بينما فينوس تتكلّم أبولو يهمس في أذن هرقل سرّاً»

شبلي :

للظّبي لفتتُهُ وجيدُه　　　للبانِ رقّتُه وعُودُه ْ

«هرقل ينصرف»

النّاصر : ومِن البليّةِ عذلُ من لا

أبولو (مقاطعاً) : ياعلي　مهلاً فأذواقُ الورى تتباينُ

شبلي تحدّثْ عن هواكَ فإنّه　عجَبٌ..

«شبلي يفتل شاربيه»

فينوس (لنفسها) : وفيه من الشّذوذ فواتنُ!

شبلي ينشد :

«حكَّمته فاحتكما　　　بالقلبِ حتّى ظلما

يا سالبَ الرّوحِ لِما　　　أشمتّ بي مَن عذَلا

* * *

ومرَّ بي يبتسمُ　　　وقال لسنا نرحَمُ

ما الحسنُ إلاّ صنمٌ　　　وكم قتيلٍ قتلا

«الجميع يضحكون»

طـه :

ماذا أسرَّ بأُذن　　　هيرقل أبولو يا علي

«ضجّة في الخارج»

علي النّاصر : اسمع　...

صوت : أماناً !

صوت : لا تخفْ

صوت : دعني!

صوت : أقولُ لك ادخلِ

«يدخل هرقل وراءه أبو حشيش يقود قرداً، الكلّ يضحك»

أبولو : لا تخشَ هيا اضرب على الدَّفِّ الجميلِ ورتِّلِ

«أبو حشيش يحمل الدفّ ويغني»

زمانْ زمانْ بعد زمانْ والله يا عيني

صارلو زمانْ هَلْ القمر ما بانْ

* * *

عُودْ يا حبيبي للگِليبِ بالله يا عيني

شوف العذولْ صاير شمتانْ

يا ماظلَمْ واحتكَمْ والله يا عيني

يا ما قتَلْ عاشقْ ولهانْ..

«قنابل ضحك تنفجر»

شبلي (غاضباً) :

أتسرقُ ويكَ أشعاري وتمسخُها بإنشادكْ؟ !

أبو حشيش :

ورأسِكَ، تلك أغنيةٌ سرَتْ مِن قبلِ أجدادِكْ

شبلي : كفى!

أبولو : شبلي**!** أهذا مستوى إلهامِ أعوادِكْ ؟ ...

«شبلي يطرق. أبو حشيش يهمّ بالخروج»

أبو حشيش : سلّمْ على السّادات يا قردُ

«القرد يشير بيده علامة السلام»

أبولو (بدهشة) : قد سلّمْ

القرد بالغَمْزات يا شاعري يَفْهَمْ **...!**

«ينهض شبلي بغضب ويخاطب الشعراء»

شبلي :

الآن قد بان الخفاءُ ولاحَ لي ما يُضْمِرون

لم أدرِ أنّ الهزءَ في أقوالهم إذ يمدحون

إنّي خُدِعتُ بلطفِهم وغداً أراكُم تُخْدَعون

أبولو : شبلي اتّئِد

شبلي :

اللهُ يعلمُ أنّكم مُتهكِّمون

كلٌّ له في شعرِهِ دِيْنٌ ولي في الشِّعرِ دِينْ

«يهمّ بالخروج فيلتقي بالعقّاد»

العقّاد :

شبلي ألا أين الوقارُ وحكمةُ الرّجلِ الرّزينْ

شبلي : دَعني و شأني

طه : أَقبلَ العقّادُ كاتبُنا الرَّصينْ

أبولو : قد جئتَنا متأخِّراً

العقّاد : الصّفحَ يا ربَّ الفنونْ

أبولو : هذا أديبُ الشّرقِ مينيرفا

العقّاد : وشاعرُهُ الأمينْ

النّاصر : هذا افتخارٌ كاذبٌ

أبولو : جِئْهُ ببرهانٍ مبينْ

طه :

أسمعْ إلهَ الشّعرِ يا عقّادُ مِن نَظْمٍ متينْ

العقّاد ينشد :

«كمْ في السّماءِ نجومٌ ضلّتْ سواء السّبيلِ

وأنت في الأرض تبغي هدياً بغير دليلِ »

أبولو : زِدْني

العقّاد :

كما ترضى يا مُبدعَ الشّعرِ

«الموتُ طرّاقٌ على الأبواب عافٍ كالعفاة

الموتُ أخّاذ فَخُذْ ما تستطيعُ مِن الحياةِ »

أبولو : زِدني

العقّاد :

كما ترضى يا مبدعَ الشعرِ

«عجبٌ للحياة أشرافُ ما تحو يه وقفٌ على الحقيرِ الضّعيفِ

صفحاتُ السّماء والأرض طرّاً والمعاني مِن تالدٍ وطريفِ

والوجوهُ التي تشوقُكَ حسناً تختفي إنْ فَقَدتَ نصفَ رغيفِ»

أبولو : زِدْني

العقّاد :

كما ترضى يا مبدعَ الشّعر

«سِرْ في طريقِكَ بين اللائمين ولا تحفِلْ بمَن جدَّ في لومٍ ومن لَعِبا

فالنّاسُ يرضَون عمّن ليس يحفِلُهم ويغضبون على مَن يحفِلُ الغضبا

أبولو : زدني

العقّاد :

كما ترضى يا مبدعَ الشّعرِ

«تعلّم كيف تستغني إذا ما شئتَ أن تَغنى

فمَنْ يجهل بما يلقَى فقد يجهل بما يُجنى »[1]

أبولو : زِدْني

العقّاد :

كما ترضى يا مبدعَ الشّعرِ

لكنّما شِعري مدٌّ بلا جَزْرِ

أبولو (بهدوء) :

هذي مواعظُ ناشئ بين الجوامع والكنائسْ

هَبْها بربّكَ منحةً لذوي العمائمِ والقلانسْ

---

(1) ورد في النص: ما يُجنى

العقّاد (خجلاً) : لكَ ما تريدُ!

طه للصّافي :

ألا ترى العقّادَ كالحمَل المؤانسْ

الصّافي (هامساً) :

صمتاً! أترضى أنْ تصير بنقدِهِ هزءَ المجالسْ؟ !

ناجي : أَسمعْ منِرفا الفلسفـاتِ وما حوتْهُ مِن نفائسْ

العقّاد (ينشد) :

«ما شجاعٌ ما جبانٌ نحن شجعانٌ جميعا

كلُّ مولودٍ تراهُ داهمَ الحصن المنيعا

أولم يطرقْ جنيناً عسكرَ الكون المنيعا

جاءه فرداً ولم يرجع كما جاء سريعا ..»

منيرفا :

ليت أفلاطونَ حيٌّ ليتَهُ كان سميعا

أبولو : هاتِ زِدْني

العقّاد :

مثلما شئتَ سميعاً ومطيعا

«دليلٌ على أنّ الكمال محرّمٌ إناثٌ خلقنا بينَها وذكورُ

فما المرءُ في جسمٍ وروحٍ بكاملٍ ولكنَّ كلّ العالمين شطوُر»

منيرفا (بذهول) : أفلسفةٌ ؟

العقّاد (مستدركاً) : لا بل ملاحظةٌ بدتْ فزِيْدَ على تلكَ القشورِ قشورُ

منيرفا : ولا بأسَ !

ناصر للعقّاد : أسمعْنا سِواها ! «العقّاد ينظر شزراً»

صافي للنّاصر : لقد بدَتْ عواصفُ عبّاسٍ عليكَ تثورُ

العقاد :

«خلا قبرُ سعدٍ مثْلما كان بيتُهُ خلا منهُ حيناً ثمّ آواهُ رَحبُهُ

أمرُّ به في كلِّ يومٍ وربَّما مررتُ به يوماً وفي القبرِ ربُّهُ»

الناصر : أيُّ فكرٍ خلف هذا الشّعرِ !

منيرفا : لن تسطيع فهمَهْ !

هيه يا عبّاس فاقذفْ بعد جرِّ القوسِ نغمَهْ

العقّاد :

«زعموا الإنسانَ قرداً قد ترقّى وتحلّى

وأناسٌ يزعمون القرد إنساناً تدلّى

هو رأيٌ واحد نقلبهُ عُلْواً وسَفْلاً!!»

أبولو : منطقٌ هذا؟!

طه (لنفسه) : لعمري هزَّ من دَرْوين عظمَهْ

منيرفا : ليس يحتاج لنقدٍ

الصّافي للنّاصر همساًنقدها فنٌّ وحكمَهْ

العقّاد (خجلاً) : يا منيرفا قسماً بالله ما كنتُ دعيّا

إنّني ما قلتُ في الفلسفة الغرّاءِ شيّا

إنّما طه دعاني فيلسوفاً عبقريّا [١]

فحسبتُ القول إخلاصاً ولم أحسَبه غِيّا

فاسْمَعي إنْ شئتِ شعراً كجَنى الرّوضِ شهيّا

لم [تشابه] مِسحَة الحِكمة [٢]

منيرفا : هيّا صاح هيّا

العقّاد :

«فيكِ من كلِّ ربيعٍ طَلْعةٌ ... تُنبتُ النّضْرةَ عاماً بعد عامْ

والشّتاءُ الجهمُ لا يعدوكِ مِن ... عهده العاصف برقٌ وغمامْ

فيكِ من نار الحياتينِ الهوى ... هل حياة المرء إلاّ من ضِرامْ

والذي أرهَبُهُ (واأسفا) ... هجرُكِ (الموعدَ) بالموتِ الزّؤامْ

الناصر :

أوه ما أكْرهَها من لفظةٍ ... لفظةُ (الموعد) في هذا المقامْ

فهي لو ألقيتَها يا شاعري ... فوق قضبانِ قطارٍ لا يُرامْ

لنزا عنها نفوراً و ارتمى ... مُشمئزّاً وعلى الرّكبِ السّلامْ !!

تنحِتُ الشّعرَ من الصّخرِ

«الجميع يضحكون»

العقّاد (مقاطعاً) : وهل تَنبُتُ الزّهرةُ إلاّ في الرَّغامْ!!

منيرفا :

صدَقَ الشّاعرُ الأغرْ ... هاتِ من هذهِ الدُّرَرْ

---

(1) يقصد د. طه حسين.

(2) في نص المسرحية: تشبه

العقّاد :

«الأزاهيرُ في الشّجرْ　　لا اختلافَ ولا صوَرْ

والأزاهيرُ في الغُرر　　حسرةُ القلبِ والبصَرْ

بينها الزّهرُ والثّمرْ　　بينها الشّمسُ والقمَرْ

بينها التِّبرُ والدُّرر　　والمصابيحُ والشَّررْ

عينُ يا عينُ لانظَرْ　　ههنا ههنا الخطَرْ »

أبولو : لَعمريَ أحسنتَ!

النّاصر (حاسداً) : لكنّما　أنا كنتُ وحياً لهذي الفِكَرْ

أبولو : أصدقاً تقولُ

النّاصر : إذاً اسْمعوا

العقّاد : أصيخوا لنفهمَ ماذا هذَرْ

النّاصر (ينشد) :

« أضاميمُ زهرٍ على مكتبي　　عذارى تجلّتْ بشتّى الصّوَرْ

عذارى الشِّمال بناتُ الثّلوجِ　　تجمَّدَ فيها ضياءُ القمرْ

عذارى الجنوبِ بناتُ الشّموسِ　　بناتُ الغروبِ بناتُ السّحَرْ

تراءتْ لعينيَ ألوانُها　　مشكَّلةَ الحسنِ تَسْبي النّظَرْ

تفوحُ بشتّى عطورِ الحياةِ　　وكلُّ أريجٍ غريبِ الأثَرْ

فمنها يداعبُ باكي الهوى　　ومنها يثيرُ نيامَ الفِكَر

فليت الطّبيعةَ بثّتْ بها　　فنونَ العذارى بناتِ البشَر»

العقّاد : هذي توارد أفكار　　..

أبولو : أتتكرها؟

النّاصر : كلاّ ولكنّما قد خانني البصَرُ

أبولو للعقّاد : لا تعبأنَ به

العقّاد :

اسمعْ إليَّ إذاً شعراً وعنوانهُ «إبليس ينتحرُ»

أبولو : إنّ هذا العنوانَ أحسنُ ما مرَّ على السّمع

منيرفا : إنّهُ خلاّبُ

النّاصر : إنّ عنوانه ليغسلُ ما قال من السُّخْفِ

الصّافي : ما يكون اللّبابُ ؟

أبولو : السّكونَ، السّكونَ

الجميع : سمعاً وطوعاً «يظهر بلوتو إبليس»

بلوتو : لا تخافوا يا أيُّها الأصحابُ

«سكون شامل»

حياتي كلُّها كانت إلى الفنّان إلهاما

ملأت العيشَ ألواناً وأصداءً وأوهاما

ولكنّي سئمتُ الكون بعد اللّهو أعواما

فهل من ميتةٍ ألقي عليها الفنّ بسّاما؟ ..!

العقّاد (ينشد بخوف):

«هاتوا ليَ الخير والهدى جُرَعاً أبخع نفسي حزناً كمَنْ بخعا

حريّة القوم أفسدتْ خُدعي لم يبقَ لي في الأنيسِ منخدَعا

«سكون تام»

إن مُنِعَتْ لذّةٌ حَفزتُ لها   فكيف حفزي من لم يكن منعا

أو حُجبتْ شهوةٌ أزيّنها   فكيف تزيين ظاهرٍ سطعا

وإن طغا ظالم له خَنعوا   فكيف يطغى إن عزّ من خنعا

«وشوشات»

لو دام هذا البلاء واتسعت   حرّية القوم ضاق ما اتسعا

ما حاجة الأرض للأبالس   في عهد نضا الخوفَ عنه والجشعا

«إبليس يتثاءب»

أتى زمان أموت فيه أنا   إبليس يأساً وفي يدي صنعا

«ضجّة»

بلوتو : زيّنتَ لي الخلودَ يا عقّادُ

«يتلاشى»

صوت ضعيف : زيّنتَ لي الخلودَ يا عقّادُ

أبولو (بذهول) :

ضروبٌ من الشّعرِ برّاقةٌ   تغرُّ السميعَ!! عناوينُها

(يسدل الستار)

ملاحظة:

1- كانت هذه الكوميديا مؤلّفة من أربعة فصول، ثمّ حوّرتها، فحذفت فصل المحاكمة، وأضفت إليها فصلين، فأصبح كلّ فصل مستقلاً بنفسه .

2- الأبيات ضمن قوسين « » هي من نظم الشّاعر المتكلّم .

3- الأبيات ضمن قوس( ) هي من النّظم الذّائع .

مسرحيّة «سميراميس»

نشر هذا القسم من المسرحيّة في مجلّة «الحديث » 1944، في الصفحات 469 - 474، وسبقه :

«مسرحيّة جديدة لشاعر العاطفة والجمال الأستاذ عمر أبو ريشة» ولم ينشر الشاعر بقيّة لها .

الشّخصيّات

سميراميس : ملكة بابل

هيرام : وصيفة الملكة

السّاقي

النّدمان

الرّاقصات والمنشدات

مسرحيّة سميراميس

ليلة مقمرة، سميراميس متكئة على سريرها وإلى جانبها وصيفتها هيرام، النوافذ مفتّحة تطلّ من ورائها حدائق بابل .

سميراميس :

عبيرُكَ يا ليلُ وهجُ الحياةِ فلا تتنفّسْ على مضجعي

بعثتَ بآخرِ ما تمتمتْ شفاهُ الرّبيعِ على مَسْمعي

أحسُّ به رعشةً في دمي وحُلماً جريحاً على مَدْمعي

ألا أين بدعةُ حُلمي إذا ترنّحتُ بالقَدحِ المترَعِ

وأين الصَّدى لنداءِ الحنينِ إذا عربد القلْبُ في أضلعي

أريدُ .. ودوني انهيارُ الفتون على كلِّ ذي هيَفٍ ممنَعِ !

حنانَكِ هَيرامُ!

هيرام : يا روعةَ الألوهة في جسَدٍ ريّق

فداكِ الظَّما ،لا تبثّي السّرابَ ولا ترتجي منه أن تَستقي

فأنتِ نثرتِ الأماني الحِرار على مغْربِ الشّمسِ والمَشرق

أَصيخي فكمْ زفرةٍ في الدُّجى تموت على خِدْرِكِ المُغلَق !

خُلقت إلى الأرضِ فامْشي على أزاهِرِها مِشيةَ المُشْفِق !!

سميراميس :

إلى الأرضِ؟ مُدِّي بساطَ الرِّضا على كبواتِ الهوى المُطْلَق

وردّي خيالي كسيحَ الجناحِ يصفّقُ في أفُقٍ ضيّق !

وهزّي إزاري، فكمْ نجمةٍ ترامتْ عليه، و لم تعْلَق !!

هي الأرضُ جُدتُ لها بالجمالِ فيا بُخلَها كلّما نَلْتقي !

كفى لا تثيري رؤى الشّاطئِ اللّعوبِ على جبهةِ المُغْرَق !

دعيني إلى وحدتي أنطوي على نبعةٍ فيَّ لم تدفُق !!!

(تفكّر قليلاً)

بل امضي إلى نَدوتي وارجعي [يعُودي ونَدماني وكأسي وزَنبقي]

(تخرج هيرام)

ويا ليلُ طُفْ بالعبيرِ الغَويّ ومرّغْ عليه هوايَ الشّقي

فلن يمسح الفجرُ أجفانَهُ وأنفاسُ خدّي على مِرْفقي

(تعود هيرام)

أراكِ رَجعتِ؟

هيرام :

فراخُ النّدى عطاشٌ إلى وِرْدكِ الخيّرِ

فضضتُ نداءكِ في سمعِها كأنّي فضضتُ لها [عبقَري][1]

فماجتْ على اسمكِ في غَمْرة من الشّوق والعبق المسكِرِ

تسائلني واختلاجُ الشّفاه يردّ السّؤالَ إلى مُضمرِ

فما حسِبتْ أن تعيدي المُنى دوافقَ في عودها الأخضرِ

(يدخل الندمان)

أتتكِ انطلاقَ هوىً ثائرِ يذلّ لديكِ فما يجتري

(1) في (الحديث): عبقر

إليكِ فما شئتِ من شمْعَةٍ تذوبُ وما شئتِ من مَجْمَرِ

سميراميس :

تعالَ فتى اللّهو هل في السُّلو بقايا عناقيدَ لم تُعْصَرِ

أدرْها أدرْ ما وعتْه الكرومُ وما حَفِظَتْهُ مِن الأعصُرِ

إلى السّاقي الجميل:

فقد أتلهّى على شُرْبِها بأسرارِ أجيالِها السُمّرِ

(تتفرّس به)

صبوحٌ لَعْمري! وفي مُقلتيكَ أرى ومضةَ الظَّمأ المُسْعِرِ

وألقى الرّجُولةَ مهزومةً تخضّبُ خدّيكَ بالأحمَرِ

أتخجلُ (تقبّل)

هيرام بغيرة : يا لانتظاري الذّبيحِ على عتبة الأمل المُخصبِ
أتأخذه!!

سميراميس :

ما لهذا الذّهولِ يشيعُ على طَرْفِكِ المعتبِ

لهيرام :

فأيُّ الجداولِ في روضتي رنوتِ إليها ولم تشربي !

فكم خطوةٍ لكِ سدّدتُها بما في سمائيَ من كوكبِ

وكم صيحةٍ لكِ أسكتُّها بما في كؤوسيَ من طيّبِ

وكم قبلةٍ عِفتُها في فمي وعفتُ بها حُمّةَ العَقْرَبِ

تَنَحّي، ففي مضجعي لهفةٌ إلى لَهْثةِ النّفَس المُتعبِ !!

(تخاطب السّاقي)

وأنت اسْقني واسْقها إنّني دفعتُ جِيادي إلى مَلعبي

فلا صحوَ حتّى أفضَّ الوجودَ واهتِكَ ما فيه من غَيْهبِ

وأنتنَّ أرسلنَ بِكْرَ الُّلحونِ على مَسْمعِ الزّمنِ الأشيَبِ !!

(الراقصات ينشدن)

(نشيد سميراميس)

سميراميس كان الحبّ يطوي الدّهرَ وسنانا

وكنتِ بجَفْنه طيفاً سخيَّ العَطْفِ فتّانا

ولمّا انهتكَ السّترُ

وفاض ضياؤك الغمرُ

أطلَّ يهزُّهُ السُّكرُ

ويكسو عِطْفَهُ الكِبْرُ

وماجَ الكونُ في ركبِ الجمالِ البكرِ نَشْوانا

وسِرنا خلفَ نُعماه على أشلاءِ نُعمانا !

سميراميس ردّي العمرَ أفياءً وأنداءَ

فقد أهوتْ أمانيهِ على قدَميكِ إعياءَ

أيغفو ؟ والرّؤى حُمْرُ

أيرنو؟ والمدى قَفْرُ

فما في كأسهِ خَمْرُ

ولا في روضِهِ عِطْرُ

حنانك يا سمير اميس ردّيه كما شاءَ

وذرّيه على وتَرِ اللّيالي البيضِ أصداءَ

 (مجلّة الحديث 1944)

مسرحيّة «نحن والسلطان»

نشر هذا الجزء من مسرحيّة أرادها عمر أبو ريشة في مجلّة «المجلّة» 1980 بحسب كتاب: عمر أبو ريشة / آثار مجهولة ولم تعرف تتمّة للمسرحيّة .

نحن والسلطان

المنظرالأوّل

أمام الخيمة، ثلاثة رجال بين مريض وجريح، وامرأة عجوز تضفر خيوطاً كثيرة .

جريح :

لم يرجعوا بعدُ وإنّا هنا نَهتِفُ بالموتِ ولا يسمعُ

لم يبقَ من لهو الليالي بنا ما نشتكي منهُ وما نَجزعُ

من خيمةٍ نحبو على خيمةٍ وحقدُنا من جُرحِنا يَرْضعُ

وثأرنا ليس له موعدٌ ويومُنا من أمسنا أَضيَعُ

لم يرجعوا ...

الجريح الآخر : ابنكَ في جمعهم ؟

الجريح الأوّل :

كلّ فتىً منهم هو ابني الحبيبْ

فوق حنينِ الدَّمِ أوجاعُنا فلا غريبَ بينَهم أو قريبْ !

الجريح الثائر : يا سلمى هاتي مذياعي

سلمى : ما تأملُ أن تسمع فيه؟

الجريح الثائر :

تتكيلُ ذليلٍ بذليلٍ وسبابُ سفيهٍ لِسَفيهِ

ونداءاتٌ من تضليلٍ وبياناتٌ مِنْ تَمويهِ

وهتافاتٌ بشعاراتٍ لا تَفْهَمُ ماذا تعنيهِ

المذيع :

ما نسمعُ ؟ يا إخوانُ الآنْ تصغون لآياتِ السّلطانْ

المنبرُ حنَّ لِطَلَعَتِه والعالمُ والدّنيا آذانْ

صوت السّلطان :

وثأرنا ليس له موعدٌ ويومُنا من أمسنا أَضيَعُ

شكراً يا شعبي شكراً يا شعبي

وسلامُ الله عليكم وتحيّتُه

كم يسعدني أنّي أذكرُ رحمتَه

لا تجزعْ يا شعبي الباسلْ

النّصرُ لنا في المستقبلْ

في كلِّ مجالٍ سنقاتلْ

لن أقبلَ صلحاً لن أقبلْ

لن أحملَ بعد اليوم هوان

أصوات الشعب : يحيا السّلطان يحيا السّلطانْ

صوت السلطان :

لن أكسرَ رمحي

لن أحني رأسي

لن أرهبَ سيفَ قضاءْ

خسئ الأعداءْ

جيشي الجبّار

سيمحو العار

ويمحق آثار العدوانْ

ويعيد فلسطينَ الحمراء

إلى أهليها دارَ أمانْ

أنا باق في وجه الطغيانْ

أنا لست جبانْ

أصوات الشعب : يحيا السّلطان يحيا السّلطانْ

صوت السلطان :

أنا كاسر قيد الحرّيهْ

أنا حاملُ بند الحرّيهْ

في كلّ مكانْ

أصوات الشعب : يحيا السّلطان يحيا السّلطانْ

* آثار مجهولة، ص. 153 .

فهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / 2017م